الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

المرجع:.....

الصّوامت والصّوائت عند ابن جنّي في ضوء الدّرس الصّوتيّ الحديث

مذكّرة معدّة استكمالا لمتطلّبات نيل شهادة الليسانس

الشّعبة:أدب عربي.

التّخصّص:لغة عربية.

إعداد الطالبين:

حسين منّاع.

هدى مطاعي.

إشراف الأستاذة:

مريم بوزردة

الموسم الجامعي: 2014/ 2015

إهـــــــداء

إلى روح إبن جني ...

إلى روح إبراهيم أنيس ...

إلى " الألف ولباء " ونبع الحنان ورمز الوفاء إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي : زكرياء ، لحسن ، سيف ، عثمان ، ومهند ....

إلى أصدقائي ورفقاء الدرب : رأفت ، سليم ، محمد، رامي ، حسين ، يوسف .... ، سمية ، شهرة ، بسمة ، نورة ، نجلاء ، وخـــــاصة : إخـــلاص

وشكر خاص إلى صديقي العزيز " سليمان غراب "

وشكر خاص إلى زميلتي في المذكرة " هدى "

إلى تـــــاجنانت الحبيبة

أهـــدي هذا البحث ،

ويوما بميلة آلفت خِلّا ... وأهلا كراما وطُهرَالتراب

الـــــــشاعر.

شـــــــــكر وتـقديـــــر :

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، سبحانك ربي أحمدك وأستعينك في كل الأمور، ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

إلهي أنت من أنرت لي دربي، ومنحتني اقدرة في هذه الحياة وقدرتني على هذا الجهد المتواضع لأخلصه لوجهك الكريم، وملأت قلبي يقينا أرى به نعمتك علي، لك الحمد والشكر والطاعة يا رب، استجبت لدعواتي وسمعت نجواي وأنت تعلم بذلك، حمدا لك يا إلهي على ما أعطيتني وما زلت تعطيني، ربي إني وكلتك أمري فكن لي خير وكيل، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وجزاك الله خير الجزاء يا أستاذتي الفاضلة "مريم بوزردة " على إشرافك لمذكرتي، فشكرا وألف شكر لك ، بارك الله فيك يا أستاذتي، لك الخير والسعادة والهناء والجنة العليا إن شاء الله.

ولن أنسى شكري لأساتذة معهد الآداب واللغات بجامعة ميلة أقول بارك الله فيكم.

وبارك الله في كل من علمني حرفا فهو أبي مدى الحياة، وإلى كل من علمتني فهي أمي التي ترعرعت في أحضانها منذ أن أودعتني أمي في مدرسة العلم في السنة السادسة، أقول لكم جميعا ألف شكر لكم

والى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هدا البحث .

إحتراماتي .

دعـــــــــاء

لا إلـــــــــه إلا اللـــــــــه العلي الحليم

لا إلـــــــــه إلا اللـــــــــه رب العرش العظيم

لا إلـــــــــه إلا اللـــــــــه رب السماوات ورب
الأرض ، رب العـــــــــــــرش الكـــــــــريم

اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن اذا
شئت سهلا ،

مقدمة

يعتبر علم الأصوات من أدق أبواب علوم اللغة وأهمها؛ لأنه علم هيئات الحروف وصفاتها قبل دخولها في تراكيب الكلمات، وربما كانت التعقيدات التي عرفها هذا العلم، من أكبر التعقيدات التي تعترض الباحث فيها نظرا لتشبعها، وافتراض الدراية بهذه الصفات خاصة الصفات الفردية منها، ونظرا لقداسة اللغة العربية، وما علوم اللغة كما هو معروف إلا خدمة لقداسة هذه اللغة، وهي لغة القرآن الكريم، فقد احتاج علماء اللغة إلى معرفة صفات هذه الأصوات لحسن تلاوة القرآن الكريم.

إن طبيعة الكلام صوتية؛ لأنه عبارة عن ذبذبات تنتشر في الهواء بعد أن تصدر الأوامر من الدماغ إلى عضلات الجهاز الصوتي عبر الأعصاب، فيقوم الجهاز الصوتي بإخراج الأصوات اللغوية التي نسمعها أثناء التحدث مع الآخرين.

ولقد ظهرت أول دراسة صوتية قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عندما قام **بانيني** بوضع قوانين تفصيلية لأصوات اللغة السنسكريتية sanskrit، وبذلك تكون هذه الدراسة أقدم دراسة صوتية معروفة.

ولم يتجاهل اللغويون العرب القدامى الصوتيات، فسجل **سيبويه** في كتابه **الكتاب** وصفا للأصوات اللغوية ظل مرجعا إلى يومنا هذا لكل من اللغويين، وعلماء التجويد على حد سواء.

إلا أن جميع الدراسات القديمة للأصوات اللغوية التي أتت بعد **سيبويه** لم تتجاوز وصف مخارج الأصوات اللغوية، وكيفية إخراجها التي وردت في الكتاب مع بعض الإضافات المتواضعة.

لا شك أن الدراسات الصوتية عند علماء العربية اتكأت على الحس الدقيق في تميز الأصوات، ولا يزال المحدثون يولون رهافة السمع أهمية في إدراك خصائص الأصوات، فعلماء العربية أدركوا إدراكا واعيا ضرورة الاستعانة بعلم التشريع للوصول إلى حقائق في معرفة الأصوات، فقد عني **ابن سينا** في رسالته الشهيرة **أسباب حدوث الحروف** بذلك، فجعل مبحثا من مباحثها في تشريح الحنجرة تشريحا مفصلا، رابطا بين إنتاج الأصوات، وليس عمل الأعضاء فيها.

وقد وجدت اللهجات العربية مختلفة في الصوامت بأشكال متعددة، فقد يكون الاختلاف في إبدال صامت بآخر، أو في الإدغام وفكة فبحث **ابن جني** في كل شكل من هذه الأشكال، ويعد كتاب **الخصائص** من لأهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع، وأما عن كتابه **سر صناعة الإعراب**، والذي تحدث فيه عن صفات الأصوات الثنائية منها والفردية، وعموما فقد كان للقدماء من علماء اللغة العربية بحوثا في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى أصوله، ولقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي، لا سيما في الترتيل القرآني الحسن، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية، واتصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم.

فلما كان العصر الحديث، واتصلت ثقافتنا بثقافات أوروبا، فكانت لعلماء اللغات فيها تلك التجارب الصوتية التي تخيل للناظر إليها أنها نوع من السحر، بدأ بعض البعثات اللغوية يعينون بهذا الأمر، ويحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية.

فعلم الأصوات علم حديث، بل إنه لا يتجاوز في حداثته كعلم قرنا من الزمان، وقد اتسع اتساعا كبيرا مع التطور العلمي الكبير؛ حيث استفاد من الأجهزة الدقيقة التي تساعد كثيرا على الوصول إلى نتائج مشجعة في علم لم يكن ممكن الاستمرار في أبحاثه اعتمادا على الحس والظن، وهي الطريقة التي كانت تتبع في الوصول إلى هذا العلم قديما.

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع لما له من أهمية كبيرة في الكشف عن صفات الصوائت والصوامت بين المحدثين والقدماء، بعد أن علمنا أن الكثير من الصوامت قد تغيرت صفاتها، وبعضها تغير حتى مخرجه، ولقد ركزنا على **ابن جني** من بين العلماء القدامى؛ لأنه من أهمهم بحثا في تغيرات الصوامت بعد أن درس الاختلافات اللهجية بين لغات العرب ولهجاتها، ولعل أكثر ما جذب اهتمامنا بهذا الموضوع هو محاولة كشف أوجه الاختلاف والاتفاق بين **ابن جني** وعلماء الأصوات المحدثين حول صفات الصوائت والصوامت ومخارجها.

مع العلم أنه قد سبقنا إلى مثل هذه الدراسات العديد من الباحثين، والدارسين الذين حولوا إبراز هذه المقارنات بين القدماء والمحدثين.

وللإحاطة بإشكالية هذا الموضوع أكثر، وجب علينا أن نطرح جملة من التساؤلات، ومنها:

– ماهي طبيعة الصوت؟ – ماهو علم الأصوات؟ – هل الصوت والحرف يحملان مدلول واحد؟ – ما هي الصوائت وما سبب تسميتها بهذا الاسم؟ – ما هي صفات الصوائت ومن أين تصدر؟ – ما هي الصوامت وما هي صفاتها المشتركة وصفاتها الخاصة؟ – هل للصوت جهاز خاص به أم هو اسم يطلق تجاوزا فقط؟ – هل هناك اختلاف كبير في تحديد الصوامت والصوائت وصفاتها وأعدادها ومخارجها بين **ابن جني** خاصة والقدماء عامة والمحدثين من علماء الأصوات؟

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي والمقارن؛ إذ تطرقنا إلى وصف الصوامت والصوائت عند **ابن جني** وعلماء اللغة القدماء الذين آتوا قبله كما قمنا بتحديد هذه الأصوات بعد أن قدمنا وصفا لتشكل الصوت اللغوي، ثمّ مقارنة تلك النتائج بما وصل إليه الدّرس الصّوتيّ الحديث.

ساعدنا في عرض هذا البحث خطة رأيناها ملائمة لعرضه وهي خطة منهجية تمثلت في: ثلاثة فصول تصدرتهم مقدمة وتليهم خاتمة، ففي الفصل الأول الموسوم بـ"الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي"، حاولنا من خلاله توضيح جهود العلماء العرب في الدّرس الصّتي عامّة، والتّركيز على جهود ابن جنّي خاصّة.

أما الفصل الثاني والمعنون بـ"الصوامت بين ابن جني والمحدثين"، فقد حاولنا المقارنة فيه بين تصنيف ابن جنّي للصّوامت والصّفات الّتي تعتريها، وبين تصنيف المحدثين لها.

في حين عالج الفصل الثّالث الّذي يحمل عنوان "الصوائت بين ابن جنّي والمحدثين"، آراء ابن جنّي حول الصّوائت ومقارنتها بما توصّل إليه الدّرس الصّوتيّ الحديث.

معتمدين في ذلك على جملة من الصادر والمراجع أبرزها: **الخصائص** و**سر صناعة الإعراب** لـ **ابن جني**، وكذا العديد من المعاجم من بينها: **لسان العرب** لـ **ابن منظور**، إضافة إلى كتب بعض المحدثين أمثال: **الأصوات اللغوية** لـ **إبراهيم أنيس**، **في**

البحث الصوتي عند العرب لـ **الخليل إبراهيم الغطية**، و**مدخل إلى علم الصوتيات العربي** لـ **يحي بن علي يحي المباركي**، وغيرها من الكتب التي لا يسمح المقام بذكرها جميعا.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا فكانت أبرزها صعوبة التواصل بين أعضاء البحث لتقديم ما هو أحسن في هذا البحث، كما نذكر توسع البحث ووجود كثير من الاختلافات بين **ابن جني** والعلماء القدامى، كما وجدنا اختلافات بين المحدثين أنفسهم، وهناك صعوبات أخرى نعف عن ذكرها.

وفي الأخير نتقدم بالشكر والعرفان لأستاذتنا المشرفة **مريم بوزردة**، وإلى كل من كانت له يد في إخراج هذا البحث، من قريب أو من بعيد.

الفصل الأوّل:

الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي

تمهيد:

يعد علماء اللغة المحدثون دراسة الاصوات اللغوية أول خطوة في أي دراسة لغوية؛ لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، ونعني بها الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني، أما اللغويون العرب القدامى، «فقد أدركوا قصور فهمهم نحو العربية وصرفها ما لم يدرسوا أصواتها فكانت عنايتهم بها شديدة اقتضتهم اكتناه مخارجها، وجهازها المصوت وصفاتها العامة والخاصة وقوانينها فأبوا بزاد وفير ماثل في عشرات المصطلحات الصوتية التي ترمي إلى جليل ما قدموا وعزيز ما خلفوا».[1]

وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة الى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية، والنطق العربي، ولا سيما في الترتيل القرآني في الحسن، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية، واتصالهم بفصحاء العرب، فكانوا مرهفي ودقيقي الملاحظة، «وصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم، غير أن المتأخرين منهم قد اكتفوا بترديد كلمات المتقدمين دون فهم لها أو نظر فيها».[2]

ويعد **ابن جني** أول من أفرد التأليف في علم الاصوات فقال: «وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الاشباع»؛[3] حيث قدم طريقة جديدة تناول بها دراسته لأصوات اللغة العربية في كتابه **سر صناعة الاعراب** مقارنة بما جاء به **سيبويه** في **الكتاب** من حيث المفاهيم الإجرائية، وآليات البحث في الاصوات اللغوية تحديداوتصنيفا، «ذلك أن الصوت اللغوي مع ابن جني أصبح في حالات كثيرة يوصف ويصنف ضمن أجناس صوتية (بالمعنى المنطقي لكلمة جنس)»؛[4] حيث صنف الاصوات بحسب المخارج والصفات ما يكفي لأن تنتظم في فصيلة دقيقة تتميز فيها كل فصيلة عن الاخرى.

---

[1] خليل ابراهيم العطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، دط، منشورات دار الجاحظ للنشرة، بغداد، 1983، ص4.

[2] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، دط، مطبعة نهضة مصر، ص4.

[3] أبو الفتح عثمان ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، تحقيق حسن هنراوي، دط، دت، ص

[4] مصطفى بوعناني: **في الصوتيات الفونيتيقي ونمادج التنظيم الفونولوجي**، دط، عالم الكتب الحديثة إربد، الأردن، 2010، ص53.

«استهل ابن جني حديثه عن الاصوات اللغوية بتحديدات أولية لأهم الثوابت المساهمة في انتاج العملية الانجازية لمجموع الحروف العربية: الصوت، الحرف، المقطع، الجرس والحركات وكلها مفاهيم هامة يقوم عليها الفهم الجيد للعملية النطقية من كيفية انتاج الاصوات – الحروف– وأنواعها المختلفة باختلاف مخارجها ومدارجها».[1]

فبعد أن عرف **ابن جني** الصوت بقوله: «اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطاله فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها».[2] عرض **ابن جني** الى تمثيل جهاز النطق بالناي، واعتبر المقاطع التي تتمايز فيها الاصوات خروقات لهذا الناي يتحول خلالها النفس المندفع من الرئتين– النفس حسبه– الى تصويت فقال: «ولاجل ما ذكرنا من اختلاف الاجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس سادجا كما يجري الصوت في الالف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المسوقة وراوح بين عمله اختلفت الاصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه».[3]

ولو عدنا الى تحليل التعريف الذي وضعه لـ**ابن جني** للصوت لوجدنا أنه يحمل التعريف الدقيق للحرف بتعيينات هامة تخص ماهية الصوت اللغوي، وكيفية حدوثه وأنواعه من حيث الجرسة وموضع التحقق.

فالحرف صوت (والصوت هواء مدفوع من الرئة) يخرج من النفس متصلا مسترسلا، فيؤدي قطعه الى تضييق مجراه بلأحد أعضاء الجهاز النطقي في موضع من المواضع إلى تأليف الحرف الذي يمثله، وبتبسيط **ابن جني**: «حد منقطع الصوت وغايته وطرفه»، وهكذا يتبين لنا أن الكلام الذي أورده في النظرية الصوتية كان قفزة زمنية يطل بها من خلف أكثر من ألف عام على علماء اللغة المحدثين؛ لينقل لهم ومضة فكر لم يجدوا في هذا العصر على تقادم الزمان إلا أن يروا رأيا أورده مع شئ من التغيير

---

[1] مصطفى بوعناني: **في الصوتيات الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي**، ص54.

[2] ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، ص6.

[3] المرجع نفسه، ص ص 8، 9.

الطفيف بما يناسب التقدم الحضاري، وأجهزة الدراسات الصوتية التي أمدهم بها العلم الحديث «واستفاد العلماء المحدثون في دراسة الاصوات وتضييقها من أجهزة الصوت الحديثة الحساسة الدقيقة ومن علم التشريح تعتبر ميزة لم تكن ميسرة لعلمائنا القدامى ومنهم ابن جني، فأدى هذا الفارق في وسائل العلم الى ظهور فوارق في الكلام على مخارج الحروف وصفاتها بين الفرقين ولكنها فوارق قليلة كما ظهر من البحث والمقارنة»،[1] وقد رأينا أن نوجز الكلام على أعضاء النطق بالقدر، الذي يحتاج اليه هذا الفصل، والشرح المفصل مبثوث في مظانه من كتب اللغة الحديثة، والاهتمام بهذه الاصوات من حيث حركتها، وعضويتها بالنظر الى مخارجها، وهي أماكن يمكن تعيينها في أعضاء النطق بوسائل مختلفة ابتداء من أقصى الحنجرة حتى الشفتين، وكانت أبجدية **الخليل** (ت 175 ه) الصوتية أول ما عرف في هذا المجال، ثم تلاه **سيبويه** (ت 180ه)، فا**بن جني** (ت 392ه).

«ولقد استطاع هؤلاء أن يصنفوا الاصوات من حيث عددها، ومن حيث حيزات نطقها وسماتها شدة أو رخاوة جهرا أو همسا، انطلاقا من معرفة دقيقة في طريقة انتاج الصوت والتحكم في مجرى الهواء»،[2] وقد بين **ابن جني** طريقته في التعرف على مخرج الصوت ودرجته وتميزه عن غيره من الأصوات، فقال في **سر صناعة الاعراب**: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره... ثم ندخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به»،[3] ثم يضرب **ابن جني** أمثلة على ذلك بـ: «إك، إف، إج، كما ذكر ابن جني حروف اللغة العربية ورتبها فقال: وهي الهمزة، الالف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الياء، الضاد، اللام، الراء، النون.

والطاء والدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو»، ثم يضيف مبررا لترتيبه أنه خالف فيه ترتيب **الخليل** الذي وجد فيه – على

---

[1] حسام سعيد النعيمي: **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دط، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية الأردنية، 1980، ص295.

[2] هادي نهر: **علم الاصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية**، دط، عالم الكتب الحديثة، الأردن، أربد، 2011، ص19.

[3] ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، ص45.

حسب رأيه – خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتّبه **سيبويه**، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له الصفة، ونجد **ابن جني** قد ذكر مخارج هذه الحروف بعد أن عددها بقوله: «واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر»،[1] وسنوضح مخرج كل حرف حسبه في موضع آخر.

ولعل الفرق الاساسي بين هذه الحروف هو الوضوح السمعي، أو عدم قوة ذلك الوضوح فيهما، فمن أبرز خصائص الصوائت، هو قوة الوضوح الصوتي فيها، والذي تقرره وتحدده وسائل خاصة معتمدة في تصنيف الأصوات، وبيان نوعها، ومن أهمها طبيعة مجرى الأداء الصوتي، **وابن جني** ومن سبقه من علماء العرب تفطنوا الى ذلك، فهذا **ابن جني** يذكر ذلك في كتابه **سر صناعة الاعراب** حين يمثل للجهاز النطقي بالناي فيقول: «كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعترض المصوت في مخارج الحروف من المقاطع»،[2] (فضلا عن تفريقه بين صنفين من الاصوات (ساكن ومتحرك): «الساكن ما أكن تحميله للحركات الثلاث... فلما جاز تحمله الحركات الثلاث علمت أنه قد كان قبلها ساكن... والمتحرك: هو الذي لا يمكن تحميله أكثر من حركتين؛ لأن الحركة التي هي فيه استغنى بكونها فيه عن اشتدادها له»،[3] فالساكن (الصامت) حرف انجزم فيه الصوت، وانقطع فلم يجر مع الحركة، وإنما انحبس في مخرجه مخففا في موضع معلوم من مواضع الجهاز النطقي، والحركة صوت مخصوص يعقب الحرف الساكن؛ ليصير امتدادا له لذلك كان ترتيبها عند **ابن جني** بعد الحرف ليس قبله أو معه).

1. الصوت اللغوي:

أجمع المحدثون من علماء الأصوات بصفة خاصة، وعلماء اللغة بصفة عامة على أن مرحلة نشأة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قيست بتطوره فوق سطح البسيطة،

---

[1] ابن جني: **سرّ صناعة الاعراب**، ص46.

[2] المصدر نفسه، ص 46.

[3] ينظر: مصطفى بوعناني: **في الصوتيات العربية والغربية**، عالم الكتب الحديثة، الأردن، إربد، 2010، الطبعة1، ص55.

وهم يرجحون فكرة أن الإنسان الأول «قد حاول النطق في عصوره الحجرية، وكان الدافع الأول لهذا النطق مجرد الصدفة، فقد نمت فيه قوة السمع قبل قوة النطق ... ولم يكن لنطقه الأول غرض خاص يرى إليه بل كان عفوا وإن شئت فقل غرزيا».[1]

والملاحظ أن الأمم القديمة قد توقفت عند الجانب الصوتي للغاتها، وهي تبحث عن نظامها تمثل فيه أصوات هذه اللغات برموز مكتوبة منطوقة، ويمكن النظر إلى نظم الكتابة (الخط) أنها أقدم صور الإحساس بالحاجة الملحة إلى الاهتمام بالأصوات اللغوية في اللغات البشرية المنطوقة، التي تعاملت معها باختلاف دوافعها فقد أُثر عن الهنود القدماء واليونانيين، وتلامذتهم الرومان، وعلماء اللغة والنحاة، والقراء العرب القدامى اسهامات كثيرة في الفكر الصوتي، وتختلف المدرسة اليونانية عن المدرسة الهندية، والعربية في كون الأولى دافعها الولع بالدراسات الفكرية (الفلسفية) عكس الثانية، والثالثة اللتان كان دافعهما للاشتغال بالدراسات الصوتية واحدا؛ إذ إن الدافع كان دينيا فقد ابتغوا من وراء هذا الجهد اللساني الحفاظ على التراث الديني، والصوت الإنساني: «هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الإهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حين تصل إلى الأذن».[2]

والمعروف أن الصوت الإنساني شديد التعقيد بسبب تركبه من أنواع مختلفة من الدرجات الصوتية المتباينة، كما أن البشر أنفسهم يختلفون في صفة أصواتهم، كما تتباين الأصوات عند الشخص نفسه بحسب المقامات التي يكون فيها، ويتحدث **إبراهيم أنيس** عن الظاهرة بقوله: «...فالانسان حين يتكلم تتغير درجات صوته عند كل مقطع كل تقريبا ولكن الاختلاف بين درجات الصوت عند الغناء أبعد منه عند الكلام»، وهذا ما أشار إليه **أبو الفتح عثمان ابن جني** في كتاب **سر صناعة الإعراب** أثناء تعريفه للصوت، فقد أشار إلى التباين بين الحروف مؤكدا أن حد التباين بينها هو المقاطع

[1] ابراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، د ط، مطبعة نهضة مصر، ص 12.

[2] المرجع السابق، ص 7 .

«ويسمى المقطع أنما عرض له حرفا و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها».[1]

والملاحظ أن كلمة «صوت» في التآليف الصوتية الحديثة ألف القارئ العربي أن يرى فيها كلمة (حرف)، فالحرف –كما هو معرف– ليس سوى الرمز المكتوب للصوت اللغوي، ولهذا فإن كلمة (حرف) في المفهوم الحديث تستعمل فقط عندما يتعلق الحديث بالكتابة، ويعود عدم صلاحية مفهوم الحرف في الدراسات الصوتية الحديثة إلى عدم صلاحية الكتابة العادية للدراسات الصوتية؛ إذ إنها تخفي حقيقة تركيب الكلمة الصوتي بسبب مخالفتها للمبادئ الأساسية للكتابة الصوتية، ولهذا فقد نشأت أنظمة خاصة بالكتابة الصوتية أهمها الأبجدية الصوتية الدولية، فالرمز الواحد قد يمثل صوتين مختلفين، والصوت الواحد قد يمثل رمزان مختلفان مثل: النون، والتنوين، والألف الطويلة، والمقصورة، والتاء المربوطة، والمفتوحة، «ونلاحظ أن الكتابة العادية تحجب حقيقة التركيب الصوتي للكلمة –نوعا وعددا– في كثير من الأحيان ويؤدي هذا بدوره إلى عدم وضوح القواعد الصوتية فالياء– كتابة– واحدة في مثل: لم تسمعي~ ولم تذهبي~ رغم الأولى تمثل شبه علة (لا تختلف عن الأصوات الصحيحة من حيث التحريك والتسكين والتشديد) والثانية علة (حركة) طويلة».[2]

لذلك ركز **ابن جني** على اللغة المنطوقة المسموعة من خلال مبدئه التفكيري في أن اللغة أصوات، وذلك في تعريفه للغة بأنها: «بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

«والعلة فيما تبناه **أبو الفتح** في ذكره اللغة المكتوبة وتجاوزه اللغة المكتوبة تتضح في سلوك علماء وفقهاء اللغة على وجه لم يكونوا يتناولون هذه الفرضية (اللغة) باعتبارها

---

[1] ابن جنّي: **سر صناعة الإعراب**، ص6 .

[2] داود عبده: **دراسات في علم أصوات العربية**، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع ،عمان ،2010 ،ص11.

~هكذا ورد في الكتاب.

نمطا خطيا أو نظاما أو نظاما كتابيا على خلاف المحدثين الذين نظروا إليها نظرة نطقية سمعية وأخرى خطية كتابية».[1]

أما الصوت اللغوي Linguistic sound الذي تؤلف مادته علم الصوت، فإنه الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء، التي يطلق عليها اسم جهاز النطق تمثل العنصر الأول والأثر السمعي المتعلق بالصوت، من حيث انتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني، أما أذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فإنها تشكل الثالث.

وفي حديثنا عن الصوت اللغوي وددنا أن نعرج على قضية مهمة أثارت فضول العلماء العرب قديما، والباحثين حديثا، وهي قضية التفريق بين الصوت والحرف، ولعل القدماء من علماء اللغة العربية، والنحو قد أشاروا إلى شيء من ذلك، ويعد **الجاحظ** من أوائل الذين طرحوا إشارات عابرة حول هذا الفرق لكنها عميقة؛ حيث قال: «الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منشورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف».[2]

فـ**الجاحظ** لمس في هذه العبارة المختصرة أساس القضية القائمة على أن الصوت، هو الوسيلة الأساسية للفظ (المؤلف من الحروف)، فلو مر الصوت الخام بعد صناعته في التجويف الحنجري دون حركات من اللسان، والأعضاء في التجاويف فوق المزمار لخرج خاما، كما أننا لو أخرجنا النفس دون اعتراضه عند إدارة الكلام في التجويف الحنجري عن طريق اصطدامه بالغضاريف الموجودة في هذا التجويف، وأهمها الأوتار الصوتية، فإنه سيظل كذلك نفسا، كما أننا لو توصلنا إلى نطق الحروف، ولكن دون مساعدة من الصوت الذي يعمل على ايجاد التوازن، والمسافات المطلوبة بين الحروف

---

[1] بلملياني بن عمر: **تراث ابن جني والدرس اللساني الحديث**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2006، ص14

[2] ينظر يحيى بن علي بن يحيى المباركي: **مدخل إلى علم الصوتيات العربي**، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدة، 1428 هـ، ص 133.

لطغي حرف على آخر، ولن نفصل بين الحروف المتلاصقة التي يتطلب الفصل بينها «فواصل زمنية محددة يقوم مركز الكلام في الدماغ بتقديرها».[1]

تبعا لعُرف المستخدمين للغة وفق مقتضياتها صوتية أدائية خاصة بكل لغة ثم أتى بعد فترة من الزمن **ابن جني**، وتناول قضية التفريق بين الصوت والحرف بعين اللغوي العارف لطبيعة النطق، وسواء أكان اطلع على ما كتبه **الجاحظ**، أم لم يفعل فقد اتفق معه في بعض الرأي، وزاد عليه حينما قال: «إن الصوت عرض يخرج من النفس متصلا حيم يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداد واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها وإن تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك»، فأصل الصوت عند **ابن جني** أنه نفس، ولكنه ضغط عليه، واعترض، فتحول جزء منه الى صوت خام في التجويف الحنجري، فيتشكل الى حروف في التجاويف فوق المزمار، وفي قوله أيضا نلحظ تفطنه الى الحقيقة العلمية التي تعتبر النطق في الجهاز النطقي وظيفة ثانوية؛ لأن وظيفة هذا الجهاز، هي تنفسية بالدرجة الاولى ثم غدائية، وما النطق إلا اعتراض للنفس، وفرز للهواء المتواجد بالرئتين ضمن عملية الزفير التي يتحول فيها النفس المطروح بعد اصطدامه بالغضاريف الموجودة في التجويف الحنجري تشكل على هيئة حروف بعضها يتم تكونه في الحلق، وبعضها في الفم وبعضها الآخر في الشفتين والانف، وبدون الاعتراض يبقى الصوت صاعدا خارجا مع النفس بدليل أنك لو وضعت أمام فمك ورقة خفيفة في حالة التصويت لرأيت أن الورقة تتحرك نتيجة للنفس المصاحب للصوت المندفع الى الخارج، أما الحرف فيعد المرحلة الثالثة من مراحل النطق الإنساني، وذلك يتمثل عندما يصل ذلك الصوت الخام آخر مراحل تكوينه في المنطقة، التي ينتهي إليها الحلق والبلعوم أو الفم والشفتين أو الانف ويتم تشكيله على أساس التقاء عضو ناطق بمكان نطق.

ويعرف **ابن جني** الحرف فيقول: «وأما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه أن (ح، ر، ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته من ذلك حرف الشيء هو حده وناحيته، وطعام حريف: يراد به حدته ورجل محارف أي محدود عن الكسب

[1] المرجع نفسه، ص133.

والخير... وقال **أبو عبيدة** في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾؛[1] أي لا يدوم ثم يتجاوز **ابن جني** التعريف اللغوي للحرف ويعرض مفهومه الخاص للحرف فيقول: «وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه»، فالحرف هو ذلك الصوت الخام الموجه المنقطع الموجه بالنفس، وهذا النفس الموجه إنما يطلق عليه الحركات بنوعيها الطويلة والقصيرة، ومن هنا يعرج ابن جني الى قضية فرعية أخرى تتعلق بمن الاسبق الحرف أم الحركة؟

بدأها بذكره للحركات وتصنيفها، فقال: «اعلم أن الحركات أبعاض: حروف مد ولين وهي الالف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة».[2]

وقد عبر **ابن جني** عن موافقته لما تقدم به النحاة قبله بأن الحركات القصيرة، إنما هي أبعاض الحركات الطويلة (الواو، الياء والالف)، بقوله: «وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة».

أما عن أسبقية الحرف للحركة فإن **ابن جني** يرى أسبقية الحرف للحركة؛ لأن الحركة بنوعيها حسبه ما هي إلا إستطالة وإشباع لا غير، فيقول: «وبذلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك من أشبعه واحد منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه، وذلك نحو فتحه عين (عتمر) فإنك إن أشبعتها نشأت بعدها باء ساكنة وكذلك قولك: عومر فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها».[3]

وإننا لو تمعنا في المثال الذي قدمه **ابن جني** في هذا القول لوجدت حقا أن الحركة الطويلة (الألف) في عامر، ما هي إلا امتداد للنفس الذي استمر بعد التقطيع أو التضييق الذي حدث له عند مقطع العين، والموجه بالحركة الاعرابية (الفتحة) التي اضطجعت على العين ولحقت بها، وهو الرأي الذي تبناه **إبراهيم أنيس** أيضا في سياق حديثة عن الحركات الاعرابية هل هي دالة أم لا؛ حيث يرى: «أن الاصل في وجود هذه الحركات

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، ص14.

[2] ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص18.

هو غاية صوتية وهي وصل الكلام... وعلى حد قوله: لم يكن وجود الحركات في أصل نشأته إلا صورة للتخلص من التقاء الساكن والمتكلم لا يلجأ الى تحريك الكلمات إلا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل»،[1] وقد نجد انسجاما لهذا الرأي مع ما قدمه **سيبويه**، وقبله **الخليل**، والذي يرى أن الحركات: الضمة، الفتحة والكسرة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليصل الى التكلم به؛ لأن العرب لا تستطيع نطق حروف عربيتها ساكنة، فأضافت لها حركات تحرك الصوت، وتصوبه ويشبه الرأي الذي قدمه **ابراهيم أنيس** رأي **قرطب** (ت 209)؛ إذ يقول: «إنما أعربت العربية كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الاسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الادراج. فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ليعتدل الكلام، الا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكن ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلام ولا في حشو بين وبين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الاسكان»،[2] وقد جعل كل هؤلاء العلماء أقدمهم، وأحدثهم الحركة بعد الإسكان؛ لأن الحرف الساكن كما ذكرنا سابقا هو الاسبق في التكوين، أما الحركة فبعد الحرف؛ لأنه عمل بالشفة بعد الفراغ من الحرف، وتكوينه في المقطع المخصص له.

2. منهج ابن جني في دراسة الصوت:

عرف العرب الصوت وطبيعته وغير القليل من خصائصه العامة، ومعرفتهم الكثير من مكونات جهاز النطق، ومخارج الأصوات، ووضعوا هجائيتهم الصوتية، وأصواتها (الاصول)، و(الفرعية) التي سميت عندهم الاصوات المستحسنة، التي حاقها من جراء الموقعية في الكلمة، ولم يكتفي العرب بالمستحسن من الاصوات التي أجازوا قراءة القرآن، والشعر بها بل درسوا أصواتا أخرى قيمتها مثل قيمة الاصوات التي أجازوها، ولكنهم

[1] عمار الياس البوالصة: **الفكر اللغوي عند ابراهيم أنيس**، دراسة وصفية تحليلية، ط1، دار جليس الزمان، عمان، 2009، ص151.

[2] عمار الياس البوالصة: **الفكر اللغوي عند ابراهيم أنيس**، ص152.

رغبوا عنها «وفي صفات الاصوات عرف البحث الصوتي الجهر والهمس ولصيق صلتها برنين الصوت وشدة الصوت وتمكنه في حالة الجهر وخلافهما في الهمس...».[1]

ومن ملامح المنهج الصوتي عند العرب القدماء عامة، و**ابن جني** خاصة ما نورد ذكره بالآتي:

أ. الاعتماد على المنهج الوصفي:

وهو نفس المنهج الذي تعتمده الدراسات اللغوية الحديثة، وقد أفضى بها الى وصف العربية، وجهازها المصوت، وظواهر التأثر والتأثير وسواها، وقادهم الى كثير من النتائج النافعة، وما هذه النتائج الا خلاصات مركزة تصف ما كان كائنا في جانب من لغتهم، فالعرب القدماء «تقتصر معرفتهم على لغتهم الاصلية أو من معرفتهم بما عداها من اللغات معرفة سطحية لا تتيح لهم أن يستخدموها استخداما علميا...»، ولقد كانت دراسة العرب للغتهم دراسة وصفية صادقة كانت وحيا للمجددين من العلماء الغرب في العصر الحديث ولا تزال ولم يكن العرب ليصلوا إلى تلك الدرجة الرفيعة، لولا الدراسة باللغة العربية؛ لأن الباحث في اللغة، ومستوياتها وجب عليه أن يجيد اللغة، بل يتقنها، وإن الملاحظة الصوتية لنطق الكلام العربي الفصيح لحاكمة بأن نطقه يختلف من منطقة الى أخرى في كل أقطار العالم العربي حديثا، وبين قبائل العرب قديما لذلك أختلف في القراءات العربية، ولا تقتصر الاختلافات في النطق (من حيث مخارج بعض الاصوات ومواضع (الارتكاز)، و«النبر» إلخ... بل تتسع لتشمل المفردات والعبارات، ويتجلى المنهج الوصفي في البحث الصوتي العربي القديم من خلال وصف الجهاز النطقي، وقبله وصف الصوت اعتمادا على التمثيل المحسوس، كما فعل **ابن جني**؛ حيث شبه جهاز النطق بالناي. أما في وصفهم للصوت فقد اعتمدوا على السمع، فالأذن أداة استقبال مرهفة للاصوات، وبها نستطيع أن نميز فروقا دقيقة بين أصوات تكاد تكون متشابهة، وبها نستطيع أن نعطي أحكاما على أصوات نسمعها من ناحية الجنس؛ أي فيما إذا كان

[1] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص109.

الصوت صوت ذكر أم أنثى أو طفل أو رجل مسن، وأحيانا نعطي أوصافا مختلفة عما نسمع كأن يكون الصوت جهوريا أو خافتا، كما لاحظوا أن وضع الاعضاء يساعد في توجيه الصوت كاستدارة الشفتين في وضع الضم، وكسرهما في وضع الكسر، وفتحهما في موضع الفتح.

ومن هذا نستخلص أن البحث الصوتي العربي إنما انطلق في بحوثه من المنهج الوصفي واصفا بها اللغة العربية، ومقدما ميزات خاصة لكل صوت لغوي، والهدف الاسمى من بحثهم هو خدمة القرآن الكريم، واللغة العربية فالقرآن الكريم من ناحية تحديد القراءات، والتفريق بين مستحسنها وشاذها، واللغة العربية من أجل الحفاظ على خصائصها المميزة، مثل: الحفاظ على صفة الضاد التي هي ميزة للغة العربية من الميل أو الابدال.

ب. اتخاذ النطق الذاتي سبيلا:

وذلك لبيان الصفات العامة، والخاصة للأصوات، ويظهر ذلك في (ذوق) الأصوات عند الخليل وتلميذه **سيبويه** في **الكتاب** بقوله: «والدليل على ذلك أنك جافيت حنكيك فبالغ ثم قلت قق قق لم تر ذلك مخلا بالقاف ولو فعلت بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن».

وقد ترسم **ابن جني** والاخرون خطى رائد علم الصوت العربي **الفراهيدي**، وتلميذه **سيبويه** في ذلك فنجد **ابن جني** يقول: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا... ثم أدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول إك، إق، إج»، ونجد أنه يتذوق الصوت، ويحدد مخرجه بالاعتماد على نطقه الذاتي كما يحدد صفته فيقول: «فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها مما سنبينه في أماكنه، إن شاء الله فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها».[1]

«ولم يكن العرب وحدهم المعتمدين على النطق الذاتي فذلك ديدن الدرس الدرس الصوتي عند الهنود أيضا وهم العرب والعرب أقدم الامم في سبق الغربيين في علم

[1] ابن جني: **سر صناعة الاعراب**، ص4.

الصوت وهي حقيقة اعترف بها غير واحد من المنصفين كبر غشترا سر وجان كانتينو وهنري فليش وسواهم».[1]

ج. الاعتماد على نظام العينات:

وهو شكل من أشكال المنهج الاستقرائي synchronic في البحث، ولا شك أن **الخليل بن أحمد الفراهيدي** أرسى نظرية في ذلاقة بعض الأصوات، التي شاكلت نتائجها الحاسبات الالكترونية للكمبيوتر بشكل عام على وفق هذا المنهج.

«ولم يتبع الفراهيدي وحده هذا المنهج فإن بين أيدينا نصا لـ**أبي محمد اليزيدي** ورد في كتاب **البيان والتبيين** لـ**الجاحظ**؛ إذ يقول:

وخلت اللفظ في الياءات إن ذكرت ... كخلت اللفظ في اللامات والالف

وخصلة الراء فيها غير خافية ... فأعرف مواقعها في القول والصحف

وهو القائل: «إن هذه الحروف التي مرت في البيتين أكثر ترددا من غيرها والحاجة إليها أشد، واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس، ورسائلهم فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت، وكل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد».[2]

3. مخارج الاصوات اللغوية عند ابن جني والمحدثين:

إن ما ذهب اليه بعض العلماء من أنه لا يوجد عضو واحد لدى الانسان مختص بالنطق دون سائر الاعضاء هو رأي صحيح، وما ذهبوا اليه من أن هذه الاعضاء جميعا تقوم بوظائف أخرى حيوية، بل أساسية لحفظ الحياة، صحيح كذلك والدليل «ما ذهب اليه الدكتور عبد الرحمان ايوب من أن عجز الانسان عن الكلام لاصابته بالبكم لا يعني عجز أعضائه عن القيام بوظائفها الاخرى»،[3] فإطلاق التسمية على هذه الاعضاء هو ليس اطلاق كلي ولكن جزئي، فلو كان كلي لكانت التسمية إنكار للوظائف الاساسية

---

[1] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص110.

[2] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص110.

[3] سمير شريف أستيتية: **الاصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية فيزيائية**، دط، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، 2002، ص13.

الأخرى، وذلك إذا نظرنا الى الوظائف الهضمية للانسان مثلا، أو إلى وظيفة التنفس، وخاصة عمليتا الشهيق والزفير.

أما القول إن الاعضاء التي يستعملها الانسان في النطق موجودة لدى الحيوان – أو على نحو قريب منه – للاستدلال على أنه لا يجوز تسميتها أعضاء النطق، فليس اعتراضا حاسما، فوجود هذه الاعضاء في الانسان ليست ميزة تجعل الانسان ناطقا، وتجعل الحيوان غير ناطق، وإنما النطق عملية معقدة يقوم الجهاز العصبي لدى الانسان بادارتها.

والجهاز العصبي الذي لدى الانسان أرقى بكثير من نظيره الذي لدى الحيوان، فالأول مهيأ لإنتاج اللغة قادر على إدارة أعضاء النطق وتوجيهها، وليس كذلك الجهاز العصبي الذي لدى الحيوان، فأما قولنا مهيأ لإنتاج اللغة؛ فلأن النطق عند الانسان (الكلام)، إنما يمر بخمسة مراحل، وهي كالآتي:

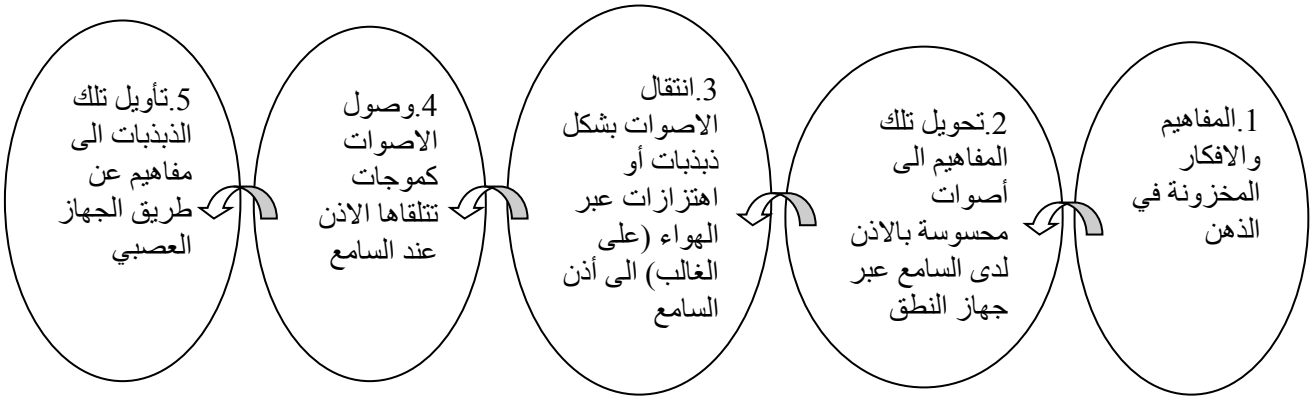

وفي ما أشرنا اليه سابقا ابرازا لدور العقل والجهاز العصبي في آلية النطق عند الانسان، «فقد ذهب بعضهم الى القول إن كل اهتزازة من اهتزازات الوترين الصوتيين وهي التي تحدد درجة النغمة الحنجرية، وما هي إلا أثر لعملية مستقلة من عمليات أعصاب متخصصة».[1]

وإذا سلمنا بجواز تسمية الاعضاء التي تساعد في انتاج الصوت، هي أعضاء نطق، فإن الوظيفة الرئيسية لجهاز النطق هي ترجمة الطلاقة العصبية الى طلاقة صوتية

[1] سمير شريف أستيتية: **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**، ص 14.

مسموعة. فإذا أراد الجهاز العصبي أن تنطق أعضاء النطق أصوات معينة، فإن أعصابا متخصصة معينة تنقل هذه الاصوات عن طريق استدعائها من مركز اختزانها في الدماغ، وتنقلها على هيئة موجات ونبضات كهربائية «وإذا كانت أعضاء النطق على هذا النحو من تهيئتها للنطق فإن تسميتها أعضاء النطق تصبح تسمية علمية لا غبار عليها».[1]

ومخارج الاصوات الرئيسية في لغات العالم عشرة ابتداء من الحنجرة حتى الشفتين، وهي كذلك في العربية الفصيحة، وسنوردها فيما يلي:

1. الحجاب الحاجز:

وهو عضلة مسطحة على هيئة صفحة من الورق تمتد بين عظم الفص، والعمود الفقري عند الخاصرة مكسوة بنسيج غشائي أبيض؛ ولأنه يفصل بين الاعضاء الاخرى كالرئتين والقلب وغيرهما سمي بالحجاب الحاجز، ويشارك الحجاب الحاجز في عملية التقلص (الزفير)، والانبساط؛ أي (الشهيق) القفص الصدري المشتمل على الاضلاع التي تشكل بتقوهها الى الأمام، وإلى الخلف شبه صندوق قابل للحكة، فيما تكون حركة الحجاب الحاجز رأسية تتجه الى أعلى أو الى أسفل في جهة البطن، فعند الشهيق يتحرك الى الأسفل، فيضغط على الأمعاء، فتدخل أكبر كمية من الهواء الى الرئتين، فيدفع الهواء الموجود داخلهما بقوة الى القصبة الهوائية، والحنجرة فتنكمش الرئتان.

2. الرئتان:[2]

وهما شبه منفاخين يشتملان على مجموعة من الأكياس التي يربط بعضها ببعض بشعب تتفرع كل منها إلى قصيبات صغيرة، وأخرى أصغر منها، وهكذا حتى تنتهي كل منها بحويصلة هوائية تحيط بها أوعية دموية دقيقة يجري فيها استبدال ثاني أكسيد الكربون الذي يطرحه الجسم بغاز الأكسجين القادم عن طريق الشهيق من القصبة الهوائية.

ولا تتحرك الرئتان إلا بواسطة الضغط فهما أشبه بقطعة الإسفنج التي يدخل فيها الماء عند غمسها فيه، وسرعان ما يخرج منها عند الضغط بالإصبع أو سواها، وكذلك

---

[1] المرجع نفسه، ص16.

[2] أحمد مختار عمر: **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة،1997، ص101.

حال الرئتين، فإن الضغط المتسلط عليهما من الحجاب الحاجز أو القفص الصدري يطرد ما بهما من هواء حالة الزفير، ويعود الهواء إليهما في حالة الشهيق.

3. الحنجرة:

«هي عبارة عن صندوق غضروفي متصل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية، وهي تتكون من ثلاثة أجزاء، وهي:

أ- غضروف الجزء الأدنى من الحنجرة: the cricid

ب-الغضروف الدرقي: The thyroide

ت-النسيجان الخلفيان الهرميان: The two arytenoids"

ويشكل الغضروف الأدنى في الحنجرة القاعدة لها، ويأخذ شكل حلقة أمام الغضروف الدرقي فيمكن رؤيته في بروزه إلى الأمام في منطقة الزور، ويعرف باسم تفاحة آدم، وقد سمي بذلك؛ لأنه الأكثر بروزا عند الرجال منه عند النساء.

أما النسيجان الهرميان فقادران على الحركة بواسطة نظام من العضلات يتحكم فيهما، ويمكنهما أن ينزلقا أو يستديرا وأن يتأرجحا، ويتصل الوتران الصوتيان عند أحد الطرفين بالبروز الداخلي للنسيجين الهرميين، وعند الطرف الأخر بالزاوية الأمامية للغضروف الدرقي، والجزء الخلفي من النسيجين الهرميين هو نقطة الدعم للعضلات التي تحرك هذين النسيجين، وتتحكم في غلق وفتح فتحة المزمار "الغلصمة"، وهي الفراغ المثلث المحصور بين الوترين الصوتيين.

ويعد الوتران الصوتيان أهم أعضاء الجهاز النطقي، وهما وإن سميا بوترين إلا أنهما في الحقيقة ليسا وترين، فكلمة وتر ليست دقيقة؛ لأنهما في الحقيقة شفتان أو شريطان من العضلات يتصل بهما نسيج، وهما يقعان متقابلين على قمة القصبة الهوائية ومثبتان عند نهايتها، من الأمام تفاحة آدم بحيث يتاخم كل منهما الأخر، ولكنهما قابلان للحركة أفقيا من الخلف؛ حيث يتصلان بغضاريف النسيج الخلفي الهرمي، وفوق الوترين الصوتيين توجد الشفتان بنفس الشكل تسميان الوتران الصوتيان الزائفان، ولا علاقة لهما بالتصويت العادي، ويسمى الصوت الخارج منهما صوتا حنجريا، والأصوات الحنجرية

هي الهمزة والهاء، وإن اعتبر بعض العلماء الهاء صوتا حلقيا، ولوترين أوضاع مختلفة وقدرة على الحركة بالتقائها و عدمه تتحدد صفة الصوت من الجهر إلى الهمس.

«والوتران الصوتيان من الأعضاء التي خفيت على علماء العربية وضيفتهما فما نسبوا صفتي الجهر والهمس إليهما بل بقي غامضا، وظل اللاحقون يكررون عبارات السابقين ولعل سبب عدم إدراكهم لهذين العضوين أنهما لا يخضعان للرؤية بالعين المجردة ولا يتوفر للقدماء الوسائل العلمية التي تمكنهم من رؤيتها»، ولكن بفضل علم التشريح، والمكتشفات الحديثة استطاع علماء اللغة المعاصرون التعرف على الوترين الصوتيين.

4. القصبة الهوائية:

وهي فراغ رنان مؤلف من حلقات غضروفية مرصوفة غير كاملة الاستدارة من الخلف، يقف بعضها فوق بعض بشكل عمودي. وتقع القصبة بموازاة العمود الفقري وطولها نحو 11 سم وقطرها بين 2سم-5سم.

5. الحلق:

«ويسمى الصوت الخارج منها صوتا حلقيا والأصوات الحلقية العين والحاء»، وهو تجويف بين الحنجرة والفم، ويعلق عليه **ابن جني** بقوله: «ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء».

ويطلق أيضا على الحلق البلعوم «ويقع بين مستفرق اللسان الجدر والحنجرة ويبلغ طوله نحو 12سم. وهو مجرى عضلي غشائي يصل الفم بالمريء ويقع خلف الفم والحنجرة ويمتد أمام العمود الفقري من قاعدة القحف حتى الفقرة الرقبية السابعة وهو ضيق في الأسفل متسع من الجهة العليا وهو مغطى بغشاء مخاطي".[1]

ويقسم العلماء الحلق إلى قسمين:

أ. **الحلق الأنفي:** وهو فراغ يقع خلف الحنجرة الأنفية مباشرة، وله وظائف صوتية كثيرة منها إعطاؤه للأصوات المؤنفة طابعها الأنفي، وتختلف درجة تأنيف الأصوات

[1] سمير شريف أستيتية: **الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية**، ص 51.

المؤنفة تبعا لاختلاف انفتاح البلعوم الانفي أو انغلاقه، وعند انغلاقه يحول الصوت إلى الحلق الفموي الذي هو التجويف الواقع تحت الحلق الأنفي مباشرة، ويرى بعض العلماء أن منطقة الحلق الفمي هي المنطقة الواقعة بين الحلق الأنفي، والحنجري هذا الأخير الذي يشمل الفراغ الموجود خلف الحنجرة.

«وبتغير حجم الحلق بتأثير عدة حركات منها: رفع الحنجرة والحركة الحلقية لجدر اللسان ولسان المزمار وانكماش الجدار الخلفي للحلق وانثنائه وهذه الحركات تؤثر في تشكيل حجرة رنين الصوت».[1]

فكلما زاد حجم حنجرة الرنين أصبح الصوت أكثر ضخامة.

ويقسم الحلق من حيث مخارج الحروف إلى ثلاث، فقد اتسعت منطقة الحلق عند القدماء وضاقت عند المحدثين، وذلك لتداخل منطقتي الحلق واللهاة فاعتبر مخرج القاف (اللهاة) جزءا من الحلق.

ويلتمس هذا الاعتبار في حديث **سيبويه** عن المخارج فمنطقة الحلق عنده، وعند القدماء تشمل أيضا منطقة الحنك الرخو؛ حيث إن أدنى الحلق هو مخرج الغين والخاء بينما تحدد اللهاة عند المحدثين بأنها جزء من الحنك الرخو، وهو طرفه المتدلي، وهذا يعني أن مخرج القاف يقع بين مخرج العين والحاء ومخرج الغين والخاء.

ولقد ذكر **الخليل** خمسة أصوات فقط مخرجها الحلق، وهي: «العين، الحاء، الهاء، الخاء والغين»، فهي حلقية لان مبدأها من الحلق، وقد استثنى الهمزة جاعلا مخرجها من الجوف لا من مدارج الحلق، أما **سيبويه** فجعلها ستة مضيفا الألف إلى التي ذكرت. وقد تبع **سيبويه** في الأصوات الحلقية أكثر الذين أتوا بعده فهي لديهم سبعة أصوات نجد ذلك عند **الزجاجي**، و**ابن جني** و**الداني** و**القرطبي** و**الخفاجي** و**الزمخشري** و**ابن الطحان** و**ابن الانباري** و**السيوطي**، إلا أن **ابن دريد** ذكر في جمهرته أصوات الحلق الستة مخالفا بذلك **الخليل**، و**سيبويه**، وهو الصحيح قائلا: «حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين».[2]

---

[1] المرجع نفسه، ص52.

[2] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007، ص60.

فعمل **الخليل** في حذف الهمزة من أصوات الحلق يشبه عمل **سيبويه** بإضافة الألف إلى أصوات الحلق كلاهما لم يجانب الصواب، فالهمزة من الوترين الصوتيين وهو مخرج الهاء أيضا، أما الألف فهو حركة طويلة لا شأن للحلق بإخراجها، وإنما يشترك في إخراجها اللسان والحنك حيث يهبط اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه في الفم بحيث يستوي في قاع الفم».[1]

لذلك فان الأصوات الحلقية الصحيحة، هي الستة التي ذكرها **ابن دريد** إلا أن المحدثين مع تسليمهم بأن الأصوات مخرجها من منطقة الوترين، حتى مؤخرة الحنك الرخو فهم لا ينسبون إلى الحلق منها إلا صوتين هما: العين والحاء، وهو ما ذكره ابراهيم عطية في مؤلفه البحث الصوتي عند العرب، وبذلك يكون مفهوم الحلق لدى القدماء يختلف عنه لدى المحدثين.

6. اللهاة:

وهي قطعة من اللحم المتدلي إلى الأسفل من طرف أقصى الحنك؛ أي الطبق «ويسمى الصوت الخارج منها لهويا والقاف هو الصوت الوحيد الذي يخرج منها».[2] وقد أشرنا سالفا إلى التداخل الذي وقع فيه القدماء في الخلط بين عدة مخارج.

ويعود سبب هذا الخلط حسبا الدكتور كمال بشر الى احتمالين:

«**الأول:** أن يكون علماء العربية أخطئوا في تقدير الموضع الدقيق لنطق القاف.

و**الثاني:** أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا الحاضرة.

---

[1] المرجع نفسه، ص60.

[2] ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص20.

والاحتمال الثاني مردود لسبب لا يرد، وهو أن **سيبويه** أورد في كتابه نصا حدد به نطق القاف، وهو من اللهاة، أما الاحتمال الأول، فهو الاحتمال نفسه الذي ذكره الدكتور تمام حسان».[1]

وقد حدد **سيبويه** هذا المخرج قائلا: «أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى»،[2] ولم يذكر لفظ لهاة وتحديده هذا يدل على منطقة اللهاة، وأول من ذكر هذا المخرج هو **الخليل** في العين قائلا: والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأهما من اللهاة، مضيفا صوت الكاف لهذا المخرج، وهو من مخرج يلي مخرج القاف. وقد ذكر **ابن الجزري** المخرج كما ورد عند **سيبويه**، وأضاف قائلا: وقال **شريح**: إن مخرجها يعني القاف من اللهاة مما يلي الحلق.

أما في الدراسات الحديثة فنجد الدكتور **ريمون طحان** ينفرد بإطلاق مصطلح غاري خلفي على هذا المخرج.

7. الطبق:

ويسمى الصوت الخارج منه طبقيا، وهو لأصوات الكاف والغين والخاء. هذا حسب تصنيف الدكتور **إبراهيم عطية**، فنجده أضاف العين والخاء إلى الكاف في إسنادها إلى الطبق .

أما **ابن جني** في سر الصناعة فيجد مخرج الكاف بقوله: ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

أما المحدثون فيحددون مخرج أقصى الحنك كمخرج لصوت الكاف، ويجعلون القاف تلتقي مع الكاف في أنهما من أقصى الحنك، ولذلك جمعهما الدكتور **إبراهيم أنيس** تحت عنوان أصوات أقصى الحلق، وهو جمع صحيح غير أن مخرجهما ليس واحدا، فالقاف لهوية، وبينما صوت الكاف من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى كما ذكر **سيبويه** و**ابن جني**.

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص69.

فالسطح الذي استعمله **سيبويه** هو أقصى اللسان، وقد جعله لصوتي القاف والكاف، والكاف بعد القاف باتجاه الفم، أما المبرد فهو يستعمل تسمية أول مخارج الفم. وهذه التسمية يجعلها **ابن جني** لصوتي الغين والخاء، حين يحدد مخرجهما بقوله في **سر صناعة الإعراب**: «مما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء».

وهذا الخلط الذي وقع فيه علماء العربية ربما لتشابه القاف والكاف واقترابهما. «وقد ذكر مكي تفريقا بين صوتي القاف والكاف بقوله: ولولا الجهر والاستعلاء في القاف لكانت كافا كذلك لولا الهمس والتسفل في الكاف لكانت قافا لقرب مخرجيهما».[1]

7. اللسان:

وهو عضو شديد المرونة، وعلى درجة كبيرة من الأهمية، ولذلك أطلق اسمه على كثير من اللغات، ومنه قولنا اللسان العربي، واللسان الانجليزي والفرنسي وهلم جرا، وقد وردت كلمة اللسان في القرآن الكريم بمعنى اللغة في ثمانية مواضع. كما أن كلمة Language بالانجليزية Le Langage بالفرنسية مشتقتان من الكلمة اللاتينية Lingua التي تعني اللسان.

كما يعد اللسان العضو الأكثر تأثيرا في تحديد مخرج الكثير من الحروف، وذلك لمرونته، «وهو موضع كلي فيه عشرة مخارج لثمانية عشر حرفا: وله أقصى ووسط وحافتان وطرف».[2]

8. طرف اللسان وبين الثنايا:

«وهو لأصوات ثلاثة وهي الصاد، الزاي والسين وقد حدد المبرد المخرج بقوله: «من طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا»، ووصفه **ابن جني** بقوله: «مما بين الثنايا وطرف اللسان»، أما وصف المخرج كما ورد في كتاب **سيبويه** فهو: «مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا». ويبدو أن دقة الوصف تقتضي تحديد الثنايا بأنها السفلى، ولاسيما أن كلمة الثنايا في المخارج المتقدمة تعني العليا، وهذه الأصوات الثلاثة أطلق عليها الخليل وصف الأسلية نسبة إلى أسلة اللسان، وهي مستدقة.

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص72.

[2] عبد اللطيف فايز وريان: **التبيين في أحكام تلاوة القرآن الكريم**، تقديم محمد رشيد راغب قباني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص160.

أما المحدثون فيختلفون في وصف هذه الأصوات، يسميها بعضهم لثوية، ويطلق عليها بعضهم لفظ «أسناني لثوي» ضاما إليها أصوات أخرى هي النطعية، وهي التسمية التي يطلقها بعضهم على الأصوات النطعية والذلقية ولا يضيع الاسلية معها».[1]

9. الخيشوم:

«وهو المخرج الوحيد الذي يستقل به صوت من الأصوات الفرعية وهو لصوت النون الخفيفة وقد عدها سيبويه أول الأصوات الفرعية الستة وتسمى (النون الخفيفة) الغنة وتكون لصوت الميم كما تكون لصوت النون، ولذلك قال **ابن الجزري:** الخيشوم وهو للغنة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الإخفاء، أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجهما الأصلي على القول الصحيح، كما يتحول مخرج حروف المد من مخرجهما إلى الجوف على الصواب، وقول **سيبويه:** إن مخرج النون الساكنة من مخرج النون المتحركة إنما يريد به النون الساكنة المظهرة.

وهذا المخرج هو الفراغ الأنفي أو الخيشومي، وهو يختص بإصدار الغنة، وهو صوت خاص اصطلح على تسميته بالنون الخفية، وهو ليس النون التي تسكن وإنما هي نون خافية».[2]

4. أوجه الاختلاف بين الصوائت والصوامت:

لم يكن تقسيم أصوات اللغة العربية إلى صوائت وصوامت مجرد تقسيم عشوائي، فلقد كشفت الدراسات الصوتية – على اختلاف مناهجها – وتنوع وسائلها وأدواتها عن أوجه الاختلاف بين الحركات أو الصوائت، وبين الأصوات الصامتة من عدة جوانب.

أ. من ناحية الوظيفة:

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص ص80 ,81 ,82.

[2] المرجع نفسه، ص85.

يكشف التقطيع المقطعي للكلمة على أنها تتكون من مجموعة من أصوات تشتمل هذه الأصوات على حركة واحدة فقط، «وهو بكونه حدثا متكاملا أو شيئا كليا له بداية ونهاية وبين الابتداء والانتهاء مرحلة وسطى تمثل الاستقرار وبلوغ القمة...».[1]

فنجد الحركة تؤثر في هذا الصوت؛ إذ توجهه وتخبر عما في نفس ناطقة فكأنه نبضة نفسية أو نشاط نفسي.

فالحركة داخل هذا الصوت إنما تمثل أعلى قوة في هذه النبضة «لهذا كانت الحركة نواة المقطع، وهذه النواة هي التي تبرز فيها ظواهر الأداء».[2]

فكلمة كتاب تنقسم إلى مقطعين (ك + تاب) فإذا نظرنا إلى المقطع الثاني، وقارنا بين أصواته الثلاثة، وأردنا أن نحدد أيها أبين لوجدها حرف الوسط (ألف المد)، قد أخذ نصيبا أكثر من الوضوح السمعي مقارنة بالتاء والباء، ولوجدناه أعلى نغمة منهما وأصول زمنا وأبطأ سرعة – وكأنه مركز لها يضمها حوله لتظهر جميعا – نطقا وإدراكا.

ب. من الناحية الفسيولوجية:

تختلف الصوائت والصوامت أيضا من ناحية ضيق الممر واتساعه أو بعبارة أدق: صورة ممر الهواء في أثناء نطق صوت، وآخر ويأخذ شكل الممر صوتين مختلفين.

– **الأولى:** يكون فيها طريق الهواء مفتوحا، وذلك لاتساع ممره بدرجة أكبر ما يمكن، فيخرج الهواء عبر القصبة الهوائية إلى الحنجرة فيهتز الوتران الصوتيان، ويصبح الهواء الخارج مهتزا أو محملا بذبذبات، ويستمر في الخروج دون أن يعترضه عائق، ودون أن يحدث حفيفا مسموعا، وهذه الصورة تخص نوعا من الأصوات، وهي الصوائت أو الحركات بنوعيها القصيرة والطويلة.

– **الثانية:** ويكون فيه ممر الهواء، إما مفتوحا بدرجة أقل كثيرا من الصورة الأولى، فيخرج الهواء من هذا الممر محدثا حفيفا أو صفيرا مسموعين، كالذي نسمعه في الفاء والسين، كما قد يكون الطريق مغلوقا غلقا كاملا لوجود عائق يعترض الهواء، فيوقفه

[1] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، مكتبة الرشد، الرياض،2009، ص 182.

[2] المرجع نفسه، ص182.

برهة من الزمن يتشكل فيها شكل الصوت، وعند إطلاقها يحدث انفجارا، وذلك مع الأصوات الشديدة كالدال والباء مثلا.

أو أن يفتح في مكان ويغلق في مكان آخر، وذلك مع الأصوات المتوسطة كالميم التي يتعلق فيها الهواء عند الشفتين، ويفتح عند التجويف الأنفي ليخرج منه صوت الميم.

فهذه الأوضاع إنما هي أوضاع الهواء المندفع من الرئتين وأوضاع الممرات التي يمر بها وعلى هذا «يأخذ الممر في أثناء نطق الأصوات أربعة مواضع:

1. مفتوح يخرج من الهواء مهتزا دون أن يحدث حفيفا مسموعا، وذلك لسعة المسافة بين سطح اللسان وسقف الحنك، وهذا مع (الحركات) أو الصوائت.
2. مفتوح يخرج منه الهواء ولكن مع إحداث حفيف مسموع، بناءا على ضيق المسافة التي بين الأعضاء النطقية، وهذا يكون مع بعض (الصوامت) التي تسمى (الاحتكاكية) أو الرخوة كالزاي والفاء...
3. مغلق في منطقة، مفتوح في أخرى، وذلك مع بعض (الصوامت) كاللام والميم والنون والراء مما يسمى بالأصوات المتوسطة.
4. مغلق غلقا تاما لا يسمح للهواء بالمرور، ثم قد يعقبه انفجار مسموع، وهذا يكون مع بعض (الصوامت) التي عرفت بالشديدة أو المغلقة كالدال والقاف والتاء».[1]

ج. من الناحية الفيزيائية:

لاحظ علماء الأصوات أثناء تحليلهم للكلام (فيزيائية الأصوات) أن الكلام يتكون من حزم من الذبذبات، وذلك في صوت التحليل باستعمال الآلات الحديثة. ووجدوا أن الأصوات تختلف فيما بينها من حيث المكونات الذبذبية فلاحظوا أن هذه المكونات تكون في (أصوات الحركات) أو الصوائت منتظمة وكثيرة في عددها، في حين أنها في الصوامت غير منتظمة بالصورة التي تكون عليها في الصوائت أو الحركات كما أنها أقل عددا منها، ويعد البعد الفيزيائي للأصوات عنصرا مهما من عناصر التفريق بين (الحركات والصوامت).

د. من الناحية السمعية والإدراكية:

[1] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص129.

تختلف الأصوات اللغوية المنطوقة فيما بينها على أساس درجة وضوحها السمعي، فبعض الأصوات تستطيع الأذن إدراكها بشكل كاف من مسافة معينة، والبعض الآخر لا تستطيع الأذن أن تدركه – أو تدركه بدون تمييز واضح– من المسافة نفسها.

«وذلك راجع إلى اختلاف طبيعة الأصوات من حيث الـ Doxority التي يمكننا تسميته بالوضوح ومن هنا يكون بعض الأصوات أوضح من بعض».[1]

ولقد كشفت الدراسات الصوتية الإدراكية عن أن الحركات هي أكثر الأصوات وضوحا في السمع، بينما الأصوات الصامتة أقل منها في ذلك بدرجة بارزة ويمكن أن نلحظ الفرق في (الوضوح) عندما تستمع إلى إنسان يتكلم في وسط ضوضاء عالية، أو من مسافات بعيدة. فإن أذنك سوف تدرك (أصوات الحركات) بوضوح. وقد لا تدرك (الصوامت) أو تدركها ولكن في درجة من الوضوح أقل.

وهكذا يضاف (الجانب الإدراكي) للأصوات إلى الجوانب السابقة في التمييز بين الحركات والصوامت.

بعد هذا يتضح لنا أن أساس تقسيم الأصوات وتصنيفها إلى حركات وصوامت يتحقق في جوانب أربعة: جانب الوظيفة المقطعية وصورة ممر الهواء أثناء النطق وعدد المكونات الذبذبية وقيمتها وشكلها ونسبة الوضوح السمعي للأصوات.

وقد اهتم علماء الصوتيات بمسألة تصنيف الأصوات اللغوية –وهي مسألة سبقهم إليها النحويون والصرفيون في الاهتمام بها– فقد جرت دراستهم على التمييز بين نوعين من الأصوات بناء على ما بينها من اختلاف واضح توصلت الدراسات الحديثة إلى تحديده بالأسلوب العلمي الدقيق ووسائل علمية حديثة دعمت بحوثهم ودراساتهم كما كانت هذه الأخيرة تدعيما لما توصل إليه العلماء القدامى وهذان النوعان هما:

1- vowels **2- Consonant**

وقد أخذ هذان المصطلحان عندنا أكثر من تسمية فبعض العلماء يطلق على الأول «(صوائت) وعلى الثاني (صوامت) والبعض الآخر يسمي الأول (أصواتا صائتة) والثاني (أصواتا صامتة) بناء على أن الأول أوضح في السمع من الثاني... وقد أطلق

[1] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص185.

أستاذنا الدكتور **إبراهيم أنيس** على النوع الأول (أصوات اللين)، وعلى الثاني (الأصوات الساكنة)»[1].

فنوع الصوت يرتبط بالهيئة التي يتخذها الفم والحنجرة عند تكون هذا الصوت إذ أن الحنجرة والفم يتخذان هيأة تجويف أنبوبي يبدأ من الحنجرة حيث الوتران الصوتيان ويمكن أن نطلق على Chamber resonance ينتهي بالشفتان ويكوّن حجرة رنين، هذا التجويف تجاوزا مصطلح جهاز النّطق، فالصوت يحدث حين يندفع الهواء من الرئتين ويدخل الحنجرة حيث الوتران الصوتيان فإذا صادفهما مشدودين هزهما وإذا صادفهما وقد ارتخيا مر من غير أن يهزهما، ولكنه على أية حال يخرج من الحنجرة ليسلك في الفم وثمة يتحدد نوع الصوت اللغوي ومعظم صفاته استنادا إلى طريقة مرور الهواء في تجويف الفم، إذ قد يصادف هذا الهواء عائقا في موضع من المواضع يعوقه عن مساره والمرور مرورا حرا إلى خارج الفم، فلا يتيسر له ذلك تلك الطائفة من الأصوات هي ما اصطلح عليها العلماء **الصوامت**.

أو أن الهواء يخرج خروجا حرا سلسا من غير أن يعترض طريقه إلى خارج الفم عائقا ما فتنشأ من جراء ذلك تلك الطائفة من الأصوات اللغوية التي اصطلح عليها العلماء **أصوات المد**، أو **الصوائت**.

وأصوات اللغة تختلف وتتفرع إلى قسمين كما ذكرنا سابقا إلى صوائت وصوامت تختلف هذه الأخيرة فيما بينها باختلاف موضع الإعاقة ثم باختلاف نوع هذه الإعاقة، لأن كل واحد منهما يؤثر تأثيرا شديدا في طبيعة الاحتكاك المسموح الناتج عن تلك الإعاقة ومن ثم يكون ذلك التأثير في الانطباع السمعي الذي يخلفه الصوت اللغوي.

ولقد اصطلح في علم الصوتيات الحديث على تسمية موضع الإعاقة في جهاز النطق **المخرج بمصطلح point of articulation**.

فإذا كان هذا الموضع في الشفتين قيل للصوت الذي يحدث ثمة صوت شفوي وإذا كان عند الأسنان قيل له صوت أسناني... وهلمّ جرّا...

---

[1] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ط 3، مكتبة الرشد، الرياض، 2009، ص179.

فالمخرج هو المكان الذي يحدث فيه التصويت حيث تتشكل فيه الأصوات وتتباين فيما بينها على أساس الموضع المحدد في الجهاز النطقي الذي تم عنده اعتراض مجرى النفس أو الهواء.

عرّف العلماء العرب القدامى المخرج بعدة تسميات لكن بمعناه الحالي؛ إذ نجد ابن دريد (ت321هـ) يسميه باسم **المجاري**، ويطلق عليه ابن سينا (ت428هـ) اسم **المحابس**.

أمّا المحدثون من علماء اللغة فيسمونه **موضع النطق La point d'articulation**.

أما نوع الإعاقة فيكون على ضربين الأول: إعاقة كلية، وهي إعاقة تنشأ لنا طائفة من الأصوات الصامتة يطلق عليها اسم **الصوامت الانفجارية** سميت أو اصطلح عليها بهذا؛ لأن الهواء يمنع أول الأمر من الخروج منعا باتا ثم يفسح له فجأة فيخرج في هيأة انفجار والثاني: إعاقة جزئية، وتنشأ لنا طائفة أخرى من الصوامت يطلق عليها مصطلح **الصوامت الاستمرارية**، والسبب في تسميتها بهذا لأن تيار الهواء يبقى مستمرا في الخروج رغم حدوث الإعاقة.

وبهذا يمكن القول بأنّ ظاهرة الاحتكاك تعد معيارا جيدا لتصنيف الصوامت وبيان اختلاف بعضها عن بعض، غير أنّ ذلك لا ينطبق على أصوات المد لخلوّها من ظاهرة الاحتكاك على النحو الذي بيّناه في الشرح السابق في أنواع الإعاقة.

ولقد ابتدع العلماء العرب وسيلة عملية لتحديد مخرج كل حرف بدقة، وتتمثل في الإتيان بهمزة وصل مكسورة قبل الحرف المنطوق به ساكنا فحيثما انقطع الصوت كان مخرج الحرف، والمخرج هو مكان التضييق والانسداد الحاصل في البلعوم أو الفم للنفس الخارج من الرئتين. وعلى أساس المخارج يتم تصنيف الحروف الهجائية وتقسيمها إلى قسمين كبيرين هما الصوائت والصوامت.

الفصل الثّاني

الصّوامت بين ابن جني والمحدثين

تمهيد:

عرّف **الخليل** أعضاء جهات النطق وحصرها بين الحلق والشفتين، وحدد عليها مواضع الحروف بعد أن حصر عددها بتسعة وعشرين حرفا، وميز بين الصامت (وأسماها صحاحا)، وبين الصوائت (وأسماها جوفا)، فقال: «في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج أربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز لتنسب إليه إلا الجوف».[1]

والصوت الصامت هو الصوت الناتج عن انحباس النفس أو الهواء «انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري أو يضيف مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف».[2]

ولقد ورد تعريف الصوت الصامت في معجم علم الأصوات للدكتور **محمد علي الخولي** على أنّه صوت له نقطة نطق محددة وناطق محدد، وتحدث معه إعاقة لتيار النّفس، ويشمل هذا المصطلح الأصوات الانفجارية (أي الوقفية) والأصوات المزجية (أي شبه الانفجارية)، والأصوات الاحتكاكية والأصوات الجانبية والأصوات الأنفية، والأصوات الانزلاقية، ويقابله صوت صائت والصوت الصامت يدعوه البعض الصوت الساكن.

1. عدد الصوامت الأساسية:

لفت الصوت اهتمام الإنسان العربي بوصفه ظاهرة عربية نفسية وأثرا حسيا، نتيجة مجموعة من حركات أعضاء النطق، وقد كان منطلق الدراسة الصوتية العربية في رحاب التحول الفكري والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم، ومن هنا بدأ التفكير في وضع معايير للحفاظ على النطق المثالي للقرآن الكريم، ويعد كتاب **العين** للخليل أول معجم صنف في العربية حيث وصف مخارج، وأحياز وصفات الحروف العربية وصفا شاملا، ورتبه ترتيبا صوتيا وفقا لمخارج الأصوات، فبدأ بصوت العين على اعتباره صوتا ناصعا

---

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: **العين**، ص58، 57.

[2] عبد الكريم مقيدش: **مذكرة في أحكام التجويد**، ط2، تق: كريم راجح، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص49.

–واضحا سمعيا– ولا يتعرض لما تتعرض له الهمزة والهاء من التبدل بسبب التركيب، ثم سار على دربه من جاء بعده من تلامذته؛ حيث تناولوا الأصوات اللغوية العربية تناولا عاما من حيث المخارج والصفات كما تتبعوا الحالات الطارئة على الأصوات أثناء الكلام كالإدغام والإمالة وغيرها، مع ربط هذه الحالات بالجانب الصرفي.

وما إن حل القرن الرابع الهجري، حتى أخذ الدرس الصوتي بعدا جديدا على يد العلامة **ابن جني**، الذي تناول الصوت من الناحيتين الصوتية والوظيفية في كتابه **سر صناعة الإعراب**، كما تناوله من الناحية الرمزية حين ربط بين مدلولات الألفاظ والعناصر الصوتية المكونة لها في كتابه **الخصائص**.

وفي هذا القرن ظهرت جماعة **إخوان الصفا** التي عالجت الصوت من الناحيتين الفلسفية والفزيائية، ولم يمض هذا القرن حتى تطورت الدراسة الصوتية أيما تطور على يد الشيخ الرئيس **ابن سينا**، الذي عالج الصوت من مختلف جوانبه التشريحية والفزيائية والسمعية والوظيفية في كتابه **أسباب حدوث الحروف**، وكتاب **السماع الطبيعي**.

ولا يختلف اثنان في بقاء العربية مُسْتَمَدٌّ من القرآن الكريم؛ لأنه حفظها فصان اللسان العربي من الزيغ والانزلاق حتى عاد اللسان متمرسًا على الإبداع، ذلك الإبداع الذي يتأتى من تكتل مفردات اللغة وانضمام الأصوات بعضها إلى بعض، وبتأليفها يتمثل الكلام، وتناسق هذا الكلام وتآلفه من مهمة الأصوات في تآلفها وتناسقها، وما تنافر الكلمات إلا دليل على قرب مخارج تلك الأصوات أو تباعدها أو في طبيعة تركيبها وتماسكها، وإنك لو جربت لوجدت استثقالا في نطقك لكلمة «هُعْخُعْ» داخل الكلمة الواحدة لوجدت صعوبة في قراءة البت القائل:

قبرُ حربٍ بمكانِ قَفْرٍ وليس قُرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرُ

إذ إن التلاؤم الصوتي يبعث الارتياح في النفس، لذلك وُصف الكلام المتلائم صوتيا بالحلاوة والطلاوة والعذوبة، وهذا يذكرنا بقول الوليد بن المغيرة في وصفه القرآن الكريم «والله لقد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الأنس، إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لغدق وإن فرعه لجناة»، وهذا التأثر من رجل مشرك سببه التلاؤم الصوتي لألفاظ القرآن الكريم.

إن معاني الأصوات ليست ما يهمنا في بحثنا هذا على كل حال، وإنما أردت أن تكتشفوا بأني تحدثت عن معانٍ كثيرة بعدد أصوات قليلة، وهذه ميزة اللغة وغايتها، والآن سنعرض بعض أقوال قدماء علمائنا في تعداد حروف العربية، ونبدأ بـ**الخليل بن أحمد الفراهيدي**، الذي يعود له فضل السبق في هذا المجال حيث نسب كل حرف إلى مَدْرَجِه وكان يقصد بالمَدْرج «مخرج الصوت» فقال: «وننسب كل حرف إلى مدرجه وموضعه الذي يبدأ منه»[1] ، فنجد **الخليل** قد استعمل مصطلح الحرب بدلا من الصوت للدلالة على الأصوات العربية، فقد وجد **الخليل بن أحمد** في الحروف العربية منطلق تحليله للأصوات اللغوية، فالكتابة العربية بصورتها التي تبحث **للخليل بن أحمد** تدون الصوامت بصورة مطردة، وتدون الحركات الطويلة في أكثر الأحوال، ولكنها لا تدون الحركات القصيرة إلا على نحو اختياري تقتضي فيه الحاجة إليها لاجتناب اللبس، وبمعنى آخر فقد كان مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون وعلى نطقه دون تمييز بين الكتابة والصوت، كان تركيز الخليل على تلك الأصوات التي لها في الخط العربي رموزا تدونها، أما الحركات القصار وهي الفتحة والضمة والكسرة، فكان الاهتمام بها في البحث الصوتي العربي أقل من الاهتمام بدراسة نطق الحروف.

عدّد **الخليل بن أحمد الفراهيدي** الصوامت العربية، وعبر عنها بلفظ «الصحاح»، فقال: «في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا لها أحياز ومدارج»،[1] ولقد استخدم الخليل كلمة «مخرج» أقل من مصطلحي الحيز، والمدرج في عرضه لهذه الأصوات؛ حيث يقول: «وأما مخرج الجيم القاف والكاف فمن بين عكة اللسن وبين اللهاة في أقصى الفم...».[2]

ويبدو أنه كان يقصد من مصطلح «حيز» المساحة التي يشغلها عدد من الحروف بدليل قوله: «الطاء والتاء والدال في حيز واحد»، وأما «مدرج الحرف» فقد ورد عنده بمعنى الموضع الذي يبدأ منه الحرف، وهو طريق الهواء من بدء الاعتراض لذلك قال وهو يتكلم عن حروف الجوف «المد»: «لا تقع في مدرج من مدارج اللسان ولا من مدارج

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 58.

[1] المرجع نفسه، ص 58.

[2] المرجع نفسه: ص 58.

الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء»[3] ،«أما عن طريقة معرفة مخرج الحرف فقد أوضحها الخليل بن أحمد حيث كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أت، أث، أح، فهو يتذوق الحرف في وضع سكونه لا في وضع حركته»،[4] وذلك لأن الحركة تغير موضع الحرف أو كما قال **ابن جني:** «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا أو متحركا لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول إك، أق، إح، وكذلك سائر الحروف».[5]

لقد عرف **الخليل** أعضاء النطق، وحصرها بين الحلق والشفتين، وحدّد عليها مواضع الحروف، بعد أن حصر عددها بتسعة وعشرين حرفا ميز بين الصامت (وأسماها الصحاح) والصوامت منها (وأسماها جوفا)، ويبدأ **الخليل** هذه الحروف بحرف العين وعدّها أول الحروف؛ لأنها أغورهم وأقصاهم لذلك سمى معجمه «العين» حين رتبه ترتيبًا صوتيا من الأغور إلى الخارج، أي من الحلق إلى الشفتين، والحرف العربية (الصحاح الأصوات العربية الصامتة) عند الخليل هي: «العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، الدال، التاء، ظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الغاء، الباء، الميم».

أما **سيبويه** فقد تابع أستاذه **الخليل** في عدد هذه الحروف كما تابعه في مصطلحاته التي قسم بها هذه الأصوات، أقصد مدارج هذه الأصوات ومخارجها، غير أنه حاول أن يدقق قليلا ويفسر أقوال أستاذه، مثل أنه قسم الحلق إلى ثلاثة أقسام: أقصى، وسط، أدنى إلى الفم.

«كما أضاف سيبويه الهمزة إلى الحروف الصحاح وهذا التقسيم هو الذي سار عليه المحدثون في تقسيم الحروف غلى صوامت وصوائت»،[1] وهو بذلك خالف أستاذه

---

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] أحمد محمد سالم الزوي: **الخليل بن أحمد رائد الأصوات**، مجلة كلية الأدب، العدد التاسع، ص 4.

[5] ابن جني (عثمان بن عمرو): **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 706.

[1] أحمد محمد سالم الزوي: **مرجع سابق**، ص 11.

الخليل الذي عدّ الهمزة من الأصوات الهوائية «فهي عنده: الواو والياء والألف اللينة والهمزة»،[2] وبذلك فهي عنده ستة وعشرون حلافا صحيحا.

وأما **ابن جني** فقد خصص كتابه **سر صناعة الإعراب** للدراسة الصوتية، ويعتبر كتابه هذا من أهم الكتب الصوتية في تاريخ اللغة العربية.

ولقد أصبح تخصيص مبحث في دراسة الأصوات مجرد ديدن كثير من النحاة واالغويين، والمعجمين، والبلاغيين، وعلماء التجويد في كتبهم، وإن شاع عند بعضهم ظاهرة التقليد لسابقيهم إلا أن بعضهم كان يضيف جديدا على دراسات السابقين، مثل العلامة **ابن جني**؛ إذ كان مؤلفه **سر صناعة الإعراب** المصدر الوافي الذي أرسى فيه قواعد هذا الدرس؛ حيث وضع الكيفية التي بموجبها يحدث الصوت، وهو أول من شبه مجرى النفس بالمزمار، وكان هو أول من استخدم مصطلح «علم الأصوات» للدلالة على مفهوم وماهية الصوت.

كما نص على العلاقة بين الصوامت والحركات «وأن الحركات أبعاض حروف المد والليـن»، [1] وعرض للكلمة من حيث كونها أصلا أو بدلا أو زائدة في الكلمة، واهتم أيضا بالاشتقاق الأكبر، والذي يمثل عائلات من الكلمات تشترك بأصوات معينة على اختلاف ترتيب أصواتها يحصل عليها بطريقة التقليبات.

أما فيما يخص عدد الأصوات اللغوية العربية، وبخاصة الصوامت عنده فقد أفرد لذلك بابا في كتابه **سر صناعة الإعراب** تحت عنوان: «باب أسماء الحروف»، ولقد وافق **ابن جني** في تعدادها عدّ **الخليل بن أحمد** وتلميذه **سيبويه**، فقد عدّها **الخليل** كما ذكرنا تسعة وعشرين، وعدّها **سيبويه** في باب الإدغام تسعة وعشرين منها ستة وعشرون صحيحا، فقد عدّها تسعة وعشرين حرفا فقال: «اعلم أن أصول حروف المعجم عن الكافة تسعة وعشرون حرفا»،[2] ردا بعد ذلك على **أبي العباس** الذي جعلها ثمانية وعشرين حرفا بعد أن أهمل الهمزة، ولم يعدّها من الحروف لصعوبة تحققها وكثرة تغيرها وتمثلها تارة في صورة الياء وتارة في صورة الواو، وملخّصا في ذلك بين الهمزة والألف

---

[2] المرجع نفسه: ص 11.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 19.

[2] المصدر نفسه: ص 41.

قائلا: «فأما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف واحتجاجه في ذلك بأنها لا تثبت على صورتها فليس بشيء وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لمل كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط (أي في النطق قبل الكتابة) والهمزة أيضا موجودة في اللفظ كالهاء والقاف وغيرهما فبديلهما أن تعتدّ حرفا كغيرها».[3]

وما يعاب على **أبو العباس** يعاب أيضا على **المبرد** الذي عدّ الحروف ثمانية وعشرون فقال: «اعلم أن الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صورة»، فهو قد أخرج الهمزة أيضا من زمرة الحروف لنفس السبب، وهو عدم ثبوتها على صورة واحدة ولقد فند ذلك **ابن عصفور**، ونعته بالفساد وأورد العلل على فساد قوله بما يلي: «توجد جذور ثلاثية في العربية تبدأ بالهمزة مثل أكل وأخذ وأمر. وغيرها ولو لم تكن الهمزة حرفا لكانت هذه الكلمات على أصلين وهذا باطل لأن أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف فاء وعين ولام»[1]

إن أسماء المعجم موضوعة على أن يكون في أول الاسم لفظ الحرف المسمى بذلك الاسم نحو: الجيم، الدال، الياء، فالألف اسم الهمزة لوجود الهمزة في أوله، أما ألف المدّ فهي ساكنة فلم يتمكن ذلك في اسمها، ولا يبتدأ بساكن فسميت ألفا باسم أقرب الحروف إليها في المخرج وهو الهمزة «فالهمزة حرف وليست من قبيل الضبط كما ادعى المبرد أبو العباس بأن الضبط لا يتصور النطق به إلا في حرف، والهمزة يتصور النطق بها وحده كسائر الحروف».[2]

وما يثبت صحة ما قاله **ابن عصفور** قول **الزمخشري** (ت 538 هـ) وشارح مفصلة **ابن يعيش** (ت 643 هـ): «اعلم أن حروف المعجم عند الجماعة تسعة وعشرون حرفا على ما هو مشهور من عددها أولها الهمزة ويقال لها الألف فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة، وكان أبو العباس المبرد يعدها ثمانية وعشرون حرفا أولها الباء وآخرها الباء، ويدع الهمزة من أولها لأنها لا صورة لها، والصواب ما ذكره

---

[3] المصدر نفسه: ص 43.

[1] سعيد محمد اسماعيل علي: **الدرس الصوتي عند ابن عصفور**، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2002، ص 32.

[2] المرجع نفسه: ص 32.

سيبويه وأصحابه من أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا أولها الهمزة وهي الألف».[3]

ويتفق **ابن الحاجب** (ت 646هـ) مع **ابن جني** أن عدد الحروف تسعة وعشرون حرفا فقد نص على ذلك بقوله: «إن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأولها الألف وآخرها الياء».

فقد أجمع علماء اللغة العربية القدامى أغلبهم على أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا صحاحا ومنهم من قال ستة وعشرون باحتساب الهمزة، وقد شذّ عن هذا عالمين اثنين هما: أبو العباس المبرد (ت 216 هـ) «وهناك عالم آخر عدّ حروف العربية ثمانية وعشرين حرفا وهو أحمد بن محمد ابن المظفر بن المختار الرازي (ت 631هـ)».[1]

ويضيف **ابن جني** حروفا أخرى استنادا إلى تقسيم المستحسن، وغير المستحسن في القراءات فيقول: «واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها حتى تكون خمسة وثلاثين حرفا وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام وهي: النون الخفيضة ويقال الخفية والهمزة المخففة، وألف التفخيم وألف الإمالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي».

ثم يتحدث عن الأحرف الثمانية غير المستحسنة في قراءة القرآن، ولا الكلام الفصيح، وهي حروف مستقبحة مستنكرة عنده، ما جاءت في كلام إلا وكان مرذولا ومردودا وهذه الحروف حسب قوله: «وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف وهي فروع غير مستحسنة... وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة، والصاد التي السين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء، والياء التي كالميم»[2] .

---

[3] المرجع نفسه: ص 32.

[1] هيام سليم عبد اللطيف ناصيف: **الدرس الصوتي في شافية ابن حاجب**، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، أطروحة نيل درجة الماجستير، نابلس، فلسطين، 2003، ص 44.

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 46.

وهذه الحروف الأربعة عشر المستحسنة، وغير المستحسنة اللاحقة بالحروف التسعة والعشرين هي كمال ثلاثة وأربعين حرفا بالسمع والمشافهة.

2. الترتيب الصوتي للصوامت:

«الصوت الإنساني ينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر من الحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حين تصل إلى الأذن».[1]

ويتضح من الكلام السابق أن الصوت اللغوي يتم إنتاجه عن طريق مجموعة من الأعضاء وأطلق عليه المحدثون اسم «الجهاز النطقي»، وكانت الدراسات الصوتية في أولها عند العرب القدامى مختلطة بغيرها من الدراسات اللغوية كالنحو والصرف والمعجم وغيرها، ولذا فإن البحث الصوتي قد وجد في دراسة الأقدمين هنا وهناك مطويا بين دفات مؤلفاتهم وقد اهتم العرب بالدراسة الصوتية من جانبيها:

1/ دراسة الأصوات مجردة (دراسة الصوت منفردا)

2/ دراسة الأصوات من خلال الظواهر الصوتية المختلفة.[2]

وكان الباعث الأول كما ذكرنا سابقا على الاهتمام المنقطع النظير بدراستهم للأصوات هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف، فعلى الرغم من صفاء سليقتهم إلا أن اختلاط الدعاة منهم بغيرهم ممن دخل في الإسلام وتعلم مع الدين الإسلامي لغته العربية سمع بعض مظاهر اللحن في قولهم.

ولم يبدأ الجانب الأول من دراسة العرب للأصوات منفردة إلا بـ**الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت 175هـ)؛ حيث خصص جزء من معجمه «العين» لدراسة الأصوات العربية مخرجا وصفة، وأضاف إلى هذا بأن جعل معجمه مرتبا حسب مخارج الحروف مبتدأ بالحلق، ولذا سمي كتابه بـ**العين**، ذلك الحرف الأنصع من بين الحروف الحلقية

---

[1] ابراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 7.

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 46.

وأقصاها، وهو القائل «فأقصى الحروف كلها العين»[3] فلم يبتدأ الخليل معجمه بالهمزة كما هو معروف في الترتيب الألف يأتي، وذلك لأن الهمزة لا تثبت على صورة، قال ابن كيسان في كتابه المزهر: «سمعت من يذكر الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الخير الثاني وفيه العين والحاء فوجد العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف»».[1]

صنف **الخليل بن أحمد** الأصوات الحربية حسب مواضع النطق «أحس الخليل أنه لا بد كي يضع معجما جامعا لمفردات اللغة العربية أن يرتب مواده على أساس معين وقد اختار ترتيب المواد على أساس "الحروف" التي تتكون منها واختار أن ترتب الحروف على أساس مخارجها فبدأ من أقصاها في الحلق متقدما إلى الشفتين».[2]

ومخارج حروف العربية (الصحاح) الخمسة والعشرين التي ذكر **الخليل** هي تسعة مخارج، وهي عند أغلب علماء اللغة القدامى كذلك أمثال **سيبويه** و**ابن جني** ستة عشر الذي صرح بذلك في كتابه **سر صناعة الإعراب** قائلا: «واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق...»،[3] وأما تقسيم الحلق إلى ثلاثة مواضيع فرعية: أقصى وسط، ادنى إلى الفم وذلك عمل سيبويه لم يسبقه إليه أحد.

رتب القدامى الحروف في مدارجها ترتيبا تصاعديا من أقصى الحلق إلى الشفتين، قال **ابن جني:** «فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه.. .»،[4] أما **الخليل بن أحمد** فقد أدرك وهو يضع معجم عربي حاجته إلى ترتيب معين يرتب على أساسه هذا المعجم، ولم يجد أمامه غير نظامين للأصوات، احدهم النظام الأبجدي (أبجد هوز) المعروف عند السريان وأتبعته اللغات السامية، والآخر:

---

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 7.

(1) ابن كيسان: **المزهر**، ج1، ص 20.

(2) محمود الشعران: **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 94.

(3) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 46.

(4) المصدر نفسه: ص 46.

«النظام الألفباني الذي وضعه ناصر بن عاصم (ت 98هـ) الذي رتب الحروف وهو يحاول إعجامها ترتيبا راعيا في الأشكال والصور واصبح ترتيب الصور: أ، ب، ت، ث، ... إلخ».[1]

ولم يأخذ **الخليل** بأحد هذين النظامين فقد كره أن يبدأ بحرف إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فلم يبدأ بالألف لأنه حرف معتل في الترتيب الألفباني، ولم بأخذ بالترتيب الأبجدي الذي يبدأ بالهمزة في قوله: (أبجد هوز)؛ «لأن الهمزة مهتوتة مضغوطة فإذا رفعه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف».[2]

لذلك عمد **الخليل** إلى ترتيب الحروف معتمدا على الترتيب الصوتي وفق المخارج، وهو الترتيب العلمي الأسلم فقد اهتدى بعد نظر وتدبر في الحروف كلها إلى فكرة تذوق هذه الحروف فوجد الكلام كله من الحلق.

فاختار أولاها بالإبتداء وهو العين، وهو على حق؛ لأن مادة الصوت هو الهواء الخارج من الرئتين وبذلك فإن أول نقطة ينتج فيها الصوت هي الحلق.

ومنه فترتيب الحروف عند **الخليل** هي كما أوردها في كتابه **العين** في سياق حديثه عن طريقة البحث في معجمه «وقلب الخليل أ ب ت ث (الترتيب الألفباني) فوضعها على قدر مخرجها من الحلق وهذا تأليفه: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ث، ذ، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، أ، ي، الهمزة».[1]

أما **سيبويه** الذي يعد دراسته الصوتية منهلا استقى منه جل من جاء بعده من علماء اللغة في درسهم الصوتي، والصرفي والنحوي، فقد اعتبر هذه المخارج ستة عشر مخرجا.

وقد قدم **سيبويه** الهاء على الألف، ولكنه في موضع آخر قدم الألف على الهاء فقد ذكر ان الهمزة أقصى الحروف وكذلك الهاء والألف بينهما، ومن الحروف التي قدمها سيبويه وآخرها **ابن عصفور** الذال، فسيبويه قدم الذال على التاء، حيث قال: «ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء».

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 47.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 47.

[1] المرجع نفسه، ص 48.

ويختلف **سيبويه** نفسه مع أستاذه **الخليل بن أحمد** في ترتيب بعض الحروف، ووقف **ابن جني** في **كتابه سر الصناعة** مع **سيبويه** في باب "ذكر الحروف على مراتبها في الإطراد"، مضيفا على أن الترتيب الذي أورده سيبويه هو الصواب، ومعيبا على ترتيب الخليل بأن فيه خلطا واضطرابا، وذلك حين قال: «فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خلط واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته».[1]

ذكر **ابن جني** ترتيب ترتيب هذه الحروف وهي عنده: «الهمزة، والألف، والهاء والعين والحاء والغين، والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء، والضاد واللام والراء، والنون والطاء والدال والتاء، والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء، والميم والواو».[2] ويذكر **ابن جني** عبارة «وهكذا يقول سيبويه» وهذا دليل على اتفاقهما.

ويتفق **ابن الحاجب** مع **ابن جني** و**سيبويه** في ترتيب الأصوات ضمن مخارجها باستثناء المخرج الأول والتاسع والسادس عشر، فبينما جاء ترتيب **ابن الحاجب** لأحرف المخرج الأول، وهي الهمزة والهاء والألف على هذا النحو جاء ترتيب **ابن جني** لهذه الأحرف على نحو آخر؛ حيث قدم الألف على الهاء فجاءت: الهمزة، الألف، والهاء. وفي المخرج التاسع قدم **ابن الحاجب** حرف الراء على النون، لكن **ابن جني** خصص هذا المخرج لحرف النون فقط، وحين اكتفى **ابن الحاجب** بستة عشر مخرجا لحروف اللغة العربية التسعة والعشرين، نجد **ابن جني** قد أضاف المخرج السادس عشر؛ إذ خصص هذا المخرج لحرف النون الخفيضة، وكان في ذلك يسير على هدى **سيبويه** في الوقت الذي خصص **ابن حاجب** المخرج العاشر لهذا الحرف فقط.

يتضح مما سبق أن هناك اختلاف بين علماء اللغة العربية القدامى في عدد المخارج وتسميتها ونسبة الحروف إليها وترتيب الحروف، فعدد الحروف عند **ابن عصفور** ستة عشر، وهي نفسها عند **سيبويه** و**ابن يعيش** و**ابن جني** فيما هي عند **الخليل بن**

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 46.

[2] المصدر نفسه: ص 45.

أحمد تسعة مخارج فقط، أما من حيث ترتيب الحروف، فالجميع منفق في ترتيبها من الأقصى إلى الأدنى؛ أي من الحلق إلى الشفتين فقد اتبع العلماء طريق **الخليل ابن أحمد** فرتبوها ترتيبا تصاعديا من الحلق إلى الشفتين، مع اختلاف في تسمية بعض المخارج، ونسبة بعض الحروف غلى مخارج جديدة، فالهمزة مثلا عند **ابن عصفور** حلقية ولكنها عند **الخليل** جوفية وهوائية، وكذلك الألف والواو عند **ابن عصفور** من بين الشفتين، وعند الخليل جوفية وهوائية أيضا فـ**الخليل** لم يجعل لها مخرجا؛ لأنها تسير وتجري مجرى النفس مع الهواء.

وأنا أعتقد أن سبب الخلاف ناتج عن الاعتماد على الملاحظة والذوق في تناول هذه القضية عند علماء العربية القدامى، ومما يؤكد هذا الاعتقاد ما توصل إليه المحدثون من نتائج قيمة في هذا المجال تتسم بالدقة؛ لاعتمادهم على التجارب العلمية والأجهزة المخبرية، وربما ذلك راجع إلى انتماءات الباحثين، إذا ما رجعنا إلى سبب اختيار العين أو الألف أو الهمزة في الابتداء بها في الترتيب أقصد بذلك لهجاتهم واعتمادهم على حرف من الحروف اكثر من آخر، والدليل ذكر **ابن جني** لفظ "أطراد" في عنوان الباب الذي ذكر فيه ترتيب الحروف، كما يمكن أن نرجع ذلك إلى الخلافات الشكلية واعتماد بعضهم على رسم الحرف مثلما فعل **الخليل بن أحمد** حينما عفّ الابتداء بالهمزة لعدم ثبوتها على حال واحدة، وقد يكون الأمر راجع إلى تغير الصوت في الاستعمال عبر الحقب الزمنية المتوالية مثلما الأمر مع الضاد فقد ذكر الدكتور **كمال بشر** في كتابه **علم اللغة العام** أن سبب الخلاف حول صفته راجع إلى سببين:

الأول: أن الضاد قديمة يبدأ المرء النطق بها بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالضاد فهي مرحلة وسطى فيها من شدة الضاد الحديثة، ورخاوة الضاد العربية وكانت عند القدماء من الأصوات الرخوة.

الثاني: أن هذا الصوت أصابه شيء من التطور حتى صار إلى ما نعهده له من النطق في عصرنا.

هذا أقل ما يمكن قوله فيما يخص الترتيب الصوتي للحروف، وذلك لالتزامنا بالاختصار في بحثنا والله المستعان.

3. تصنيف الأصوات وتقسيمها بحسب المخارج عند القدماء:

يمكننا تقسيم وتصنيف الأصوات حسب طريقتين أولا بالاعتماد على صفاتها، وثانيا بالاعتماد على مخارجها، فإذا كان الأول قد قام على نوعية التحرك الذي يعتمد تيار النفس، فإن الثاني يقوم على أساس المكان الذي يحدث فيه التحرك، أو ما يسمى بمخرج الصوت ويمكن بيان ذلك مشفوعا بالصفات المميزة بين الأصوات المنسوبة لكل موضع أو مخرج أو مدرج، وقد جعل **الخليل** جعل مخارج الأصوات ثمانية، ويلاحظ أنه يختلف في توزيعه للأصوات على مخارجها عما هي عليه الآن من توزيع، لكن هذا الاختلاف لا يقدح في صنيعه وتقسيمه، فرغم الفرق الهائل في وسائله وأدوات بحثه عن الوسائل والمعامل والمختبرات العلمية الحديثة إلا أنه أثبت من الدقة في أوصافه بما كان، ليدل على عبقرية عالمية في هذا المجال:

ويقسم **الخليل** الأصوات العربية على مخارجها الثمانية كما يلي:

يقول **الخليل**:

1. «فالعين والحاء والهاء والحاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الخلف». الأصوات الحلقية.
2. «والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأها من اللهاة». الأصوات اللهوية.
3. «والجيم والشين والضاد شجرية: لأن مبدأها من شجر الفم أي مخرج الفم» الأصوات الشجرية.
4. «والصاد والسين والزاي أسلية: لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرف اللسان أي أقصى طرفه» الأصوات الأسلية.
5. «والطاء والتاء والدال نطعية: لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى» الأصوات النطعية.
6. «والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها اللثة» الأصوات اللثوية.
7. «والراء واللام والنون ذلقية: لأن مبدأها من ذلقة اللسان» الأصوات الذلقية
8. «والفاء والباء والميم شفوية، وقال شفهية: لأن مبدأها من الشفة» الأصوات الشفوية.

9. «والياء والواو والألف والهمزة الهوائية في حيز واحد: لأنها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء». الأصوات الهوائية.

ولقد رتبها **الخليل** بن أحمد كما يلي:

ع ح هـ خ غ/ ج ش ض/ ص س ز/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و أ ي.

فا**لخليل** قد ذهب في كتابه **العين** إلى تحليل الأصوات وكتابة مادتها وصفاتها محددا أياها –الصفات– بالمخارج فيقول مثلا في حديثه عن بعض الحروف: «اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم وثلاثة شفوية: ف ب م مخرجها ما بين الشفتين خاصة»[1] .

1/ عند سيبويه:

أما **سيبويه** فإنه يجعل المخارج الصوتية ستة عشر مخرجا، ومنهم من يقرر أنها خمسة عشر مخرجا مثل الدكتور **تمام حسان**؛ إذ يقول في كتابه **اللغة العربية معناها ومبناها:** «وقد قرر سيبويه أن مخارج اللغة العربية خمسة عشر مخرجا ومعنى ذلك أن كل مخرج من هذه يفهم في مقابل أربعة عشر مخرجا آخر».[2] لكن **سيبويه** نفسه يصرح قائلا: «وحروف العربية ستة عشر مخرجا».

«فللحلق منها ثلاثة.... الهمزة والهاء والألف... العين والحاء... الغين والخاء»، الأصوات الحلقية: وسيبويه يقصد بالألف ألف المد، والحلق كما ذكرنا عنده ثلاث مخارج:

أ/ فأقصاه مخرجا: الأصوات الهمزة والهاء والألف المدية.

ب/ ومن أوسط الحلق: مخرج العين والحاء.

ج/ وأدناها مخرجا: من الفم: الغين والخاء.

ثم يستطرد **سيبويه** في عرض المخارج الباقية محددا بها صفات الأصوات استنادا إلى هذه المخارج فيقول:

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامري، ج1، ص 12.

[2] تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 78.

- ومن أقصى اللسان وما فوق الحنك الأعلى. مخرج القاف.
- ومن أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى. مخرج الكاف
- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى. مخرج الجيم والشين والياء.
- ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس: مخرج الضاد.[1]
- ومن حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والرباعية والثنية مخرج اللام.
- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون.
- ومن مخرج النون غير أنه أدخل في طرف اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء. ولالتباس هذا المخرج واقترابه إلى مخرج اللام جعل بعض العلماء –كما ذكرنا سابقا– يعتبر صوت الراء منحرفا مثل اللام، ويشاركها في صفتها.
- ومن بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج الطاء والدال والتاء.
- ومما بين الثنايا وطرف اللسان، مخرج الصاد والزاي والسين.
- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا والسفلى، مخرج الظاء والذال والتاء.
- ومن باطن الشفة السفلى وأصول الثنايا العليا، مخرج الفاء.
- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.
- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.[1]

3/ عند ابن جني:

حافظ **ابن جني** على ألفاظ سيبويه في أثناء حديثه عن المخارج فقال: «واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ثلاثة منها في الحلق.....»،[1] ثم يشرع في سردها فيقول:

- فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء هكذا يقول سيبويه.
- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.

---

[1] سيبويه: **الكتاب**، ج1، ص 405.

[1] سيبويه: **كتاب سيبويه**، ج2، ص 405.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 46.

– ومن فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء.

– ومما فوق ذلك من أقصى اللسان.

– ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم.

– ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

– ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ألا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر.

– ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج اللام.

– ومن طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا مخرج النون.

– ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

– ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

– ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

– ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والدال والثاء.

– ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا مخرج الفاء.

– ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

– ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة ويقال الخفيفة أي الساكة فذلك ستة عشر مخرجا.[1]

4. تصنيف الأصوات حسب المخارج عند المحدثين:

إن الأصوات الموجودة بين الأصوات اللغوية العربية يمثل عند المحدثين بمثابة قيمة خلافية تميز كل صوت عن آخر أما الصفات التي تمتاز بها هذه الأصوات (الأحرف) تمثل البعد الأفقي للنظام الصوتي عندهم الذي يؤمن اللبس على التفرق بينهما.

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 48.

لقد اعتمد علماء اللغة المحدثون الذين اعتمدوا هذا التقييم على أساس من التجارب الصوتية في المعامل والمختبرات الصوتية فلاحظوا أن اللسان عامل مشترك في أكثر هذه المخارج وأن المخرج الواحد يشترك فيه أكثر من صوت واحد، وسنشرع في عرض ألقاب الأصوات العربية عند المحدثين ننطلق فيها من أقصاها وأغورها إلى أبينها وأقربها.

1/ الأصوات الحنجرية: سميت بالحنجرية نسبة إلى الحنجرة وهي: «عبارة عن حجرة متسعة نوعا ما، ومكونة من ثلاث غضاريف الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء البارز منه **بتفاحة آدم** أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف».[1]

والأصوات الحنجرية صوتان هما (الهمزة والهاء) ويكون ذلك بانغلاق وانفتاح الوترين الصوتين فالهمزة مثلا:« يتم نطق هذا الصوت بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا تاما يمنع مرور الهواء فيحتبس خلفهما ثم يفتح فجأة فينطلق الهواء متفجرا مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين بسبب إغلاقها»[2]، وأما الهاء« يتم نطقها باحتكاك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار ويرتفع الطبق ليسد مجرى الأنف»[3]، ولقد أطلق المحدثون أيضا على الهمزة أيضا اسم الصوت المزماري لأن الفتحة التي بين الوترين تسمى مزمارا فوصفت الهمزة أنها صوت مزماري نسبة إلى مخرجها والمزمار جزء من الحنجرة «ولذلك فإن صفة مزماري تدخل في معنى حنجري».[4]

2/ الأصوات الحلقية: الحلق هو موضع الغلصة أو المذبح وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم، والأصوات الحلقية هي العين والحاء.

أما عن كيفية نطقها فالعين «يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار ونُتُوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق وفي نفس الوقت

---

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 17.

[2] جازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، ص35.

[3] المرجع نفسه: ص35.

[4] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص188.

يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي وتحدث ذبذبة في الأوتار الصوتية فيحتك الهواء الخارج من الرئتين بلسان المزمار والجدار الخلفي للحلق عند نقطة تلاقهما»[1].

أما الحاء: «فهو الصوت المهموس الذي يناظر العين فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلا في أن الصوت مهموس نظيره المجهور هو العين»[2] .

وذلك لأن الأوتار الصوتية تكون في حالة انفتاح فلا يحدث لها اهتزاز عند مرور الهواء بها.

3/ الأصوات اللهوية: ويطلق على الأصوات التي تطلق على اللهاة فيقال الأصوات اللهوية نسبة إليها والصوت اللهوي هو صوت القاف. «كما ننطقها اليوم وذلك بخروج الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يهتز الوتران الوتران معه حتى يصل إلى اللهاة فتتقلص مخلقة ما يقابلها من مؤخر اللسان الممر وبانفراجهما نسمع صوت القاف».[3]

والقاف عند المحدثين من علماء اللغة والأصوات هو صوت مهموس يقرأ به كذلك عند القراء المجيدين رغم أن جميع كتب الأولين من علمائنا وصفت القاف بأنه صوت مجهور، «فقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها بين الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى»[4].

4/ الأصوات الطبقية (الحنك الرخو): وهي صفة للأصوات الخارجة من الطبق (الحنك الرخو) ويطلق عليها أيضا (الأصوات الحنكية الرخوية)، والأصوات الطبقية هي: الكاف والغين والخاء، ونجد من المحدثين من يقول في الغين والخاء: « وأما الغين والخاء فهما أقصى حنكين» وهناك من يسميها أصوات أقصى الحنك، مثلما فعل الدكتور عبد العزيز أحمد علام حين قال: «وهي التي تنطق من أقصى اللسان مع أقصى

---

(1) جازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ص34.

(2) إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 76.

(3) عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 270.

(4) إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص72.

الحنك وهي الكاف والجيم القاهرية والواو (في مثل يوم) إلا أن الغين والخاء أدخل من أخواتها».[1]

ويصف الدكتور **حازم علي كمال الدين** في كتابه **دراسة في علم الأصوات** هذه الأصوات حين خروجها فيقول:

الكاف يتم نطقه برفع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به وإلصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي مع انفتاح الأوتار الصوتية مما يجعلها لا تهتز عند المرور بها، والغين يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان حتى يتصل بالطبق اتصالا يسمح للهواء بالمرور فيحتك باللسان والطبق في نقطة تلاقيهما وفي نفس الوقت يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع تضييق الأوتار الصوتية تضييق يؤدي إلى اهتزاز الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها.

والخاء ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الغين مع فارق واحد وهو أن الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها وذلك عند النطق بصوت الخاء أي أن صوت الخاء صوت مهموس وصوت الغين صوت مجهور.[2]

ويضيف الدكتور **عبد العزيز أحمد علام** الجيم القاهرة: «التي يجرج فيها الهواء مارا بالحنجرة فيهتز الوتران وبين أقصى اللسان وأقصى الحنك يحدث غلق محكم يمنع الهواء من المرور ثم يعقبه انفجار نسمع معه صوت الجيم التي ننطقها في القاهرة».[3]

والجيم القاهرية هي نظيرة الكاف وهي صوت سامي شائع في معظم اللهجات السامية، «وهذا الصوت لا يفترق من الكاف في شيء سوى أن الجيم مجهورة والكاف مهموسة، ولكن انفصال العضوين في الجيم القاهرية فجائي ولهذا هي أكثر شدة من الكاف».[1]

5/ الأصوات الغارية: (الحنكية الصلبة): ومخرجها الغار أو الحنك الصلب وهذه الأصوات هي الشين والجيم والياء ويطلق عليها بعض المحدثين أصوات وسط

---

[1] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص270.

[2] حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ص33.

[3] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 271.

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية:** ص71 عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 270.

الحنك تبركا واحتفاظا منهم بتسمية القدماء إلا أن بعض العلماء المحدثين يجعلها لقبا للياء فقط يقول الدكتور عبد العزيز أحمد علام «وهي عند القدماء الجيم والشين والياء (في مثل يوم وبيت) ولكن كما ننطق اليوم هي الياء فقط أما الجيم والشين فهن منطقة متقدمة».[2]

فالياء تنطق بخروج الهواء مارا بالحنجرة فيهتز الوتران وفي وسط الحنك يتقلص اللسان إلى الخلف ثم يرتفع أوسطه نحو الحنك بدرجة أكبر فيخرج الهواء من هذه الممر الضيق محدثا صوت الياء.

«والشين ينطق برفع مقدمة اللسان اتجاه الغار ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق مع انفتاح الأوتار الصوتية مما يجعلها لا تهتز عند مرور الهواء بها».[3]

ويذكر الدكتور **إبراهيم أنيس** أن للتين صوت نظير مجهور نسمعه أحيانا في لغة الكلام عند بعض المصريين وذلك عند النطق بكلمة مثل: "مشغول" وهذا الصوت المجهور يستعمله أهل سوريا في نطقهم للجيم العربية وهو نوع من الجيم الشديدة يشبه ما نسمعه في مثل الكلمة الإنجليزية neasure. [4]

كما نجد الدكتور **إبراهيم أنيس** يعرج على الجيم ويعلق عليها ويؤكد أن الجيم التي نسمعها عند المجيدين في القراءات هي مغايرة لما وصفها القدماء؛ حيث أنها صوت شديد مهجور لأنها تطورت تطورا كبيرا في اللهجات العربية وهذا ما دفع الدكتور **عبد العزيز أحمد علام** يجعلها في منطقة مقدمة كما ذكرنا سابقا في قوله: فجعلها من الأصوات اللثوية الحنكية التي تنطق من مقدمة اللسان مع مقدم الحنك ومؤخر اللثة.

6/الأصوات اللثوية: وسميت بذلك نسبة إلى اللثة وهي لحم على أصول الأسنان، والأصوات اللثوية صفة لعدد من الأصوات وتنسب إلى مخرج هذه الأصوات وهي اللثة.

---

[2] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 272.

[3] حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ص31.

[4] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص69.

والأصوات اللثوية هي: اللام والراء والنون، «والمحدثون من علماء اللغة يستعملون هذا المصطلح للدلالة على أصوات تسعة هي النطعية والأسلية والذلقية ويضيف بعضهم صوت الشين وهم يقسمون هذه الأصوات فيجعلون الذلقية اللثوية خاصة عدا النون الذي هو لثوي أنفي والنطعية لثوية أسنانية وبعضهم يعدها لثوية خالصة وبعضهم يعد اللام والنون أسنانية لثوية أيضا».[1]

إلا أن بعض المحدثين يطلقون هذه الصفة على أصوات ثلاثة فقط وهي: اللام والراء والنون.

فاللام ينطق بها باتصال طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق فنسد المجرى عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق وتكون الأوتار الصوتية في حالة تضييق مما يجعلها تهتز عند مرور الهواء بها.

وأما الراء فينطق بها بترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة، وتكون الأوتار الصوتية في حالة تضييق مما يجعلها تهتز عند مرور الهواء بها.

والنون ينطق بها بوضع طرف اللسان عند أطراف الأسنان العليا وخفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي أمام تيار الهواء مع إحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية ويطلق الدكتور إبراهيم أنيس على هذه الأصوات الثلاثة: الأصوات الذلقية كما كان يسميها القدماء ثم يُعَرِّجُ قائلا: «لقد سمى بعض القدماء هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقية ولن أحاول هنا التعرض لسر هذه التسمية القديمة وإنما أبغي الانتفاع بها فقط».[1]

فإبراهيم أنيس لقد لاحظ علاقة بين هذه الأصوات الثلاث استمدها من تسمية القدامى لها بالأصوات الذلقية فوجد أن مجرجها واحد أن بينها شبه كبير، كما أنها على قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع لهذه سماها – مجموعة صوتية مميزة– بقوله: « فلا بأس إذا أن نعدها مجموعة صوتية مميزة».[2]

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 204.

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 54.

[2] المرجع نفسه، ص54.

7/ الأصوات الأسنانية اللثوية: «وهي الأصوات التي تنطلق باشتراك مقدم اللسان بما فيه طرفه مع اللثة وأصول الثنايا العليا وهي: الصاد والدال والطاء والتاء واللام والنون».[3]

إلا أن من المحدثين من يخرج من هذه الصفة صوتي اللام والنون ويبدلهما بصوتين آخرين هما السين والضاد، ومنهم من يضيف صوت الزاي، يقول الدكتور حازم علي كمال الدين:«وهذه الأصوات تشتمل الدال والضاد والتاء والطاء والسين والزاي والصاد».[4]

والضاد صوت (لثوي أسناني مغلق مطبق مهتز).

والدال صوت (لثوي أسناني مغلق مطبق مهتز).

والطاء ينطق كالضاد ولكن من غير اهتزاز الوترين فالفرق بينهما هو الاهتزاز.

والتاء صوت (لثوي أسناني مغلق مطبق غير مهتز).

8/ الأصوات الأسنانية: وتطلق على الأصوات التي يشترك في نطقها الأسنان العليا والأسنان السفلى وظبة اللسان وهذه الأصوات هي: الذال والظاء والثاء، «فالذال صوت رخو مجهور يتكون بأن يندفع معه الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت وهو بين طرف اللسان والثنايا العليا وهناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا قويا من الحفيف».[1]

ولا فرق بين الذال والتاء إلا أن التاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان فالفرق بينهما أيضا في الاهتزاز فقط، والذال المجهور نظير التاء المهموس.

«أما الضاد فينطق كالذال ولكن مع وجود تضييق بين مؤخر اللسان ومؤخر الحنك، فلهذا الفرق بين الضاد والذال هو الإطباق أي أن النظير المطبق للذال هو الضاد».[2]

---

[3] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 274 .

[4] حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ص 27.

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 50.

[2] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص 276.

[3] المرجع نفسه: ص 277.

9/ الأصوات الشفوية الأسنانية: وقد أطلقت هذه الصفة نسبة إلى عضوي الشفة والأسنان اللذان يساعدان في إنتاج هذه الأصوات والأصوات الشفوية الأسنانية هي: صوت الفاء.

«والفاء تنطق بمرور الهواء في الحنجرة دون أن يهتز الوتران وفي الفم يتم التضييق الشديد بين أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة فيخرج الهواء محدثا صوت الفاء».[3]

فباتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا اتصالا لا يسمح بمرور الهواء فيحتك بهما مع رفع مؤخر الطبق لسد التجويف الأنفي مع ملاحظة أن الأوتار الصوتية لا تهتز بحدوث صوت الفاء.

10/ الأصوات الشفوية: وهذه الأصوات هي: الباء والميم والواو وقد اكتسبت هذه الأصوات هذه الصفة نسبة إلى مخرجها وهي الشفة فهي صفة للأصوات التي يكون مخرجها من الشفتين ويطلق عليها بعضهم الأصوات الشفتائية bilalialsounds، «فالباء ينطق بضم الشفتين ورفع الطبق ما بين الحلق والتجويف الأنفي مع ذبذبة الأوتار الصوتية».[1] «أما الميم فينطق كالباء ولكن في أثناء غلق الشفتين تهبط اللهاة فيمر الهواء من الأنف كالنون».[2]

5. تصنيف الأصوات باعتبار الصّفات:

الصّفة لغة: تدل على معنى في موصوف إما باعتبار محله أو باعتبار نفسه، وهي ما قام بالشيء من المعاني وجمعها صفات.

أمّا الجحبري فيعرّفها بأنّها: «لفظ يدل على معنى موصوف ذاتيا أو خارجا فالأول كحروف الحلق والثاني كالجهر والهمس».[1]

---

[1] حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ص24.

[2] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص277.

[1] مصطفى بوعناني: **في الصوتيات العربية والغربية**، دار عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2010، ص 98.

الصّفة اصطلاحا: «هي الكيفيات العارضة للحروف عند النطق بها كالجهر والهمس وما شابه ذلك».[2]

ما المراد بالصفة؟ المراد بالصفة هو الكيفية التي خرج بها الصوت أي كيفية خروج الصوت من الملحوظ. أن اللغويين العرب القدامى جعلوا مبحث الصفات عاملا شاملا لدرجات الانفتاح ولكل ما يولد صفة من صفات الحروف سواء أكانت للصوامت أم للصوائت، وحين ظهر هذا المبحث عند **سيبويه** أول مرة لم يكن فيه حديث عن الصفات التي لها أضداد والصفات التي ليست لها أضداد. غير أن **ابن جني** مهد للفرق بينها حين جعل انقسامات الحروف وصفاتها مجموعة على شكل ثنائيات أو في شل أزواج متعاكسة كالجهر والهمس، الشدة والرخاوة، الإطباق والانفتاح... الخ.

1/الصفات العامة (الزوجية):

أ- الهمس والجهر: لعل جهل القدماء بدور الوترين الصوتيين هو الذي أدى بهم إلى تعريف الجهر بقوة الاعتماد والهمس بخفته أو ضغطه و على هذا الأساس قسموا الحروف إلى قسمين هما:

1. الأصوات المهموسة: عرّف مكي الصوت المهموس:«أنه حرف جرى مع النفس عند النطق به لضعف الاعتماد عند خروجه فهو أضعف من المجهور».[1]

وعدها مكي عشرة أحرف: الكاف، السين، التاء، الشين، الخاء، الصاد، الهاء، الحاء، الفاء والثاء ويجمعها عجاء قولك:«ستشحثك خصفه» أو هجاء:«سكت فحثه شخص». ولعل تعريف مكي مطابق لتعريف سيبويه عند تعريفه للصوت المهموس حيث قال: «وأما المهموس فحرف أضعف اعتمادا في موضعه حتى جرى النفس معه».

كما اتبع **سيبويه** في تعريفه معظم علماء العربية القدماء مثل: **المبرد، ابن سراج، ابن جني السكاكي وابن يعيش** وغيرهم من علماء اللغة وعلماء القراءات. وبعض هذه

---

[2] عبد الكريم مقيدش: **مذكرة في أحكام التجويد**، ط2، تق: كريم راجح، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص49.

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص38.

الأصوات المهموسة أضعف من بعض فالصاد والخاء أقوى من غيرهما، لأن الصاد فيها إطباق واستعلاء وصفير وكل هذه الصفات الأحادية من صفات القوة وفي الخاء استعلاء.

وقد عرّف المحدثون المهموس بـ: «أنه الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان عند النطق به»، وهو تعريف محمود السعراء.

ونجد اختلافا بين علماء اللغة القدماء وعلماء اللغة المحدثين في أصوات ثلاثة هي: القاف، الطاء والهمزة، فقد عدّها القدماء من الأصوات المجهورة أما المحدثون فمن خلال تجاربهم العلمية الحديثة أثبتوا أنهن خاليات من صفة الجهر فن مهموسات، ويذكر لنا سيبويه طريقة نعرّف بها الصوت المهموس وذلك بإمكانية ترديد الصوت مع جري النفس حيث قال في كتابه الكتاب: «ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه».

يقول **ابن جني** في نفس السّياق: «وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع مجرى الصوت نحو... ههه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك»[1] .

ويعلل **مكي ابن أبي طالب القيسي** سبب إطلاق مصطلح الهمس على هذه الأصوات قائلا: «وإنما لقّب هذا المعنى بالهمس لأن الهمس هو الحس الخفي الضعيف. فلما كانت ضعيفة لقبت بذلك».

وقال **ابن دريد:** «وإنّما سميت مهموسة لأنه اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية».

ومن استقراء هذه التعاريف يمكن إجمال رأيهم –علماء اللغة القدامى– في ظاهرتي الجهر والهمس:

1/ أنهم أغفلوا الإشارة إلى الوترين الصوتيين.

2/ إشارتهم إلى تمكن الصوت المجهور وقوته المفهومة (من إشباع الاعتماد) وضعفه في المهموس.

3/ الاعتماد على جريان النفس في تمييز المجهور ومنعه (أو حبسه وانحصاره) في المهموس.

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص19.

لقد تحدث الدكتور **سمير أستيتية** عن آراء ما سبقه من المحدثين على هذه الصفة قائلا: «لا خلاف بين الدرس اللغوي المعاصر وما ذهب إليه علماء العربية من أسلافنا في الحكم على المجهور من أصوات العربية... ولا خلاف بيننا و بينهم في الحكم على الأصوات التالية بأنها مهموسة وهي: التاء، الثاء، الحاء، الخاء، السين، الشين، الصاد، الفاء، الكاف والهاء، ولكن الخلاف بيننا وبينهم على الأصوات الثلاثة الآتية: الهمزة، القاف والطاء فقد صنفوها بأنها مجهورة».

ونرى أن الاختلاف قد ظهر بين العلماء المحدثين أنفسهم حول صوت الهمزة أمجهورة أم مهموسة فانقسم العلماء الى قسمين:

فريق يرى بأنّها مهموسة ومن أصحاب هذا الرأي الدكتور **عبد الرحمان أيوب** و**الدكتور تمام حسان**، فقد وصفها **عبد الرحمان** بأنها «صوت حنجري انفجاري مهموس» ووصفها **تمام حسان** بأنها: «صوت حنجري شديد مهموس مرقق يتم نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالا تاما وحبس الهواء خلفها ثم إطلاقه بفتحها فجأة... ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدّ هذا الصوت مجهورا وهو أمر مستحيل استحالة مادية مادامت الأوتار الصوتية مقفلة أثناء نطقه».

وأما **الفريق الثاني** فيرى بأن الهمزة صوت مجهور ومنهم **كمال بشر**؛ حيث انتقد من قال بهمسها قائلا: «وهناك من الدارسين المحدثين من يرى الهمزة صوت مهموس ويبدو أنهم يقصدون بالهمس حينئذ عدم الجهر وهو رأي غير دقيق؛ إذ إنّ هناك حالة ثالثة هي حالة وضع الأوتار عند النطق بالهمزة العربية، ولنا أن نقول في تفسيرهم هذا أنهم لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار، ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس. وأكن هذا السلوك منهم غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة؛ إذ إنّ الهمزة العربية لا يتم نطقها في المرحلة الثانية وحدها وإنما تكون في مرحلتين»، وهاتين المرحلتين هما:

المرحلة الأولى: وهي إطباق الوترين وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس

المرحلة الثانية: مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثا انفجارا مسموعا.

وهما مرحلتان متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما؛ لأن المرحلة الأولى (مرحلة قطع النفس) هي مرحلة مهمة في تكوين الهمزة من المرحلة الثانية، ومن ثمة سميت همزة القطع، وفي هذه المرحلة تكون الهمزة في وضعي الهمس والجهر. ومن علماء اللغة المعاصرين من يرى بأن الهمزة ليست بصوت مجهور ولا مهموس، ومن بينهم أحمد مختار عمر الذي وصف الهمزة لا بالمجهور ولا بالمهموس قد ذكر ذلك إبراهيم أنيس قائلا: «فالهمزة إذا صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار مغلقة إغلاقا تاما فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار وذلك الانفراج ينتج الهمزة».

2. الأصوات المجهورة:

أ/ المعنى اللغوي: قال صاحب اللسان: «يقال جهر بالقول إذا رفع به صوته فهو جهير وأجهر، فهو مجهر أذا عرف بحدة الصوت، وجهر الشيء: علن وبدى وجهر بكلامه ودعائه وصوته وقراءته، يجهر جهرا وجهارا وأجهر بقراءته لغة، وأجهر جهرا: أعلن به وأظهر».

ب/المعنى الاصطلاحي: الجهر هو اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت «فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان».[1] والأصوات المجهورة هي: ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن أ و ي يعرّف **مكي** الصوت المجهور: «أنه حرف قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته و قوة الاعتماد عليه في موضع خروجه».

وعدها **مكي بن أبي طالب** غير ما ذكر من المهموسة «وهذه الحروف هي ما عدا المهموسة المذكورة قبل ذلك»[2] ، وهذه الحروف هي: الألف، العين، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الزاي، الدال، الذال، الطاء، الظاء، الباء، الواو، الهمزة والميم.

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح النحوي في الدراسات العربية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007، ص 90.

[2] عبد الكريم مقيدش: **مذكرة في أحكام التجويد**، ص42.

وقد جمع بعض العلماء المتأخرين من علماء التجويد بقولك عظم وزن قارئ ذي عض جدّ طلب أو ظلّمن ربض إذ عز جند مطيع طلي، وتعريف مكي مأخوذ من تعريف سيبويه في الكتاب: «فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري حال المجهور في الحلق والفم، إلا أنّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيها غنة، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخلّ بهما».

ومن التعاريف المتوارثة في تراثنا العربي القديم: «ذهاب **ابن كيسان**(299هـ) إلى عدّ الصوت المجهور: ما لزم موضعه الى القضاء وحروفه وحبس النّفس أن يجري معه فصار شيء بغيره».[1] و**السّكاكي** (626هـ) في تعريف الجهر بأنّه انحصار في مخرج الحرف».[2]

ج/ مصطلح الجهر: من مصطلحات **سيبويه**: «الا أنّ الزجاج نسب هذا المصطلح إلى الخليل قائلا: «وهذا يحتاج الى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهور حرف اشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه و المهموس أضعف الاعتماد في موضعه و جرى معه النفس»».[3]

فـ**الزجاج** في قوله ينسب التقسيم إلى **الخليل**، وهو نفس التقسيم الذي اعتمده علماء اللغة الذين أتوا بعده حتى علماؤنا المحدثون قد نسبوا التعريف إلى **الخليل** كنا نسبوا المصطلح إليه وذلك بعدّهم **سيبويه** تابعا **للخليل** في تقسم الصوات إلى مجهورة ومهموسة، في حين أنّ هناك من المحدثين من نسب المصطلح إلى سيبويه ورأى أن **الخليل** أشار إلى الصوت المجهور والمهموس فسمىّ المجهور مرتفعا كالدال وسمى المهموس خافتا كالتاء.

وهو رأي غير صحيح في نظر الدكتور **عبد العزيز الصيغ**، واعتبره استنتاج غير مطرد في **الكتاب**، إذ إنّ **الخليل** حسب رأيه لم يصف بقية الأصوات بالصفة نفسها حتى يفهم منه تقسيم الأصوات إلى مرتفعة وخافتة، وهو تحميل للعبارة فوق ما تحتمل. وقد حدا

---

[1] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، دط، منشورات دار الجاحظ، العراق، 1983، ص41.

[2] المرجع نفسه: ص41.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح النحوي في الدراسات العربية**، ص90.

بالاستنتاج نفسه فرأى أنّ **الخليل** سمىّ الشديد صلبا وكزا، علما أنّ عبارة **الخليل** التي ذكر فيها هذا الوصف هي «لأنّ الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها» ولا يمكن القول – حسب عبد العزيز الصيغ– إنّه وصف أيضا الدال بالصلابة، وهي الأخرى شديدة بإجماع القدماء، مما ينبغي صحة الاستنتاج والصحيح: أنّ إدراك صفات الجهر، الهمس، الشدة، الرخاوة، التوسط، الإطباق، الانفتاح والانحراف كان اتجاها أصيلا لدى سيبويه بميزه عن أستاذه **الخليل**، فقد عرّف **سيبويه** المجهور بأنه: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت».

وهذا التعريف شاع عند العلماء شيوعا كبيرا وأعيدت عبارته دون تعديل فيها، أو تبديل مما جعله سمة لهذا المصطلح كما هو تعريف له، وهذا ما جعل بعض المحدثين إلى القول بأنّ هذا التعريف الذي وقف أماه علماؤنا القدماء حائرين قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة، لا يكادون يقربون منه حتى ينقلبوا عنه فكأنهم قد تخيّلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيها أو تبديل ولو بكلمات مرادفة.

غير أنّ **المبرّد** خرج عن الالتزام بعبارة سيبويه فقال معرّفا الأصوات المجهورة: «بأنها حروف إذا ردّدتها ارتدع الصوت فيها». وقد لجأ في تعريفه هذا إلى التجربة العلمية كما يبدوا فأحسّ أنّ الصوت المجهور يهتز معه الوتران الصوتيان مما يسمع معه مثل الارتداع. أما **ابن دريد** فقد عرف المجهور قائلا: «سميت مجهورة لأنّ مخرجها لم يتّيع فلم تسمع لها صوتا» وهو تعريف موافق للتعريف الذي نسبه بعض المحدثين إلى الخليل، ولعلّ **ابن دريد** أغفل تعريف سيبويه لغموضه وقد وافقه على هذا التعريف **السكاكي** في كتابه **مفتاح العلوم** قائلا: «الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف». إلا أنه ما يلاحظ في هذا التعريف أنّه يتناسب وتعريفه للشدة.

ورغم جهود بعض علمائنا القدامى في إخراج تعاريف أخرى للجهر إلا أن قدسية التعريف كما ذكرنا سابقا كانت لها أثر كبير في إتباع أكثرهم تعريف **سيبويه**، ونقلت بلا زيادة ولا نقص ونرى ذلك عند **الزجاجي** في **'الجمل'**، و**ابن جني** في **سر صناعة الإعراب**، و**الخفاجي** في **سر الفصاحة**، و**الزمخشري** في **المفصل**، و**ابن الأنباري** في **أسرار العربية**، و**السيوطي** في **الجمع**، و**ابن الأنباري** في **أسرار العربية**، و**ابن يعيش** في

شرح المفصل، و**الرضي** في **شرح الشافية**، و**ابن عقيل** في **شرح التسهيل**، و**السيوطي** في **الجمع**، وقد غيّر آخرون في نص العبارة ولكن دون المساس بالألفاظ الأساسية في تعريف **سيبويه**، فقد عرّف **مكي ابن أبي طالب** المصطلح قائلا: «معنى الحرف المجهور إنه الحرف قوي الاعتماد عليه في موضع خروجه»، وقد زاد **مكي** على تعريف **سيبويه** وصفه للمجهور بأنه قوي، وهي صفة لا يختص بها المجهور بها فقط، فالشديد أيضا يوصف بالقوة ولذلك، فهي لا تعني إضافة إلى تحديد المصطلح.

وقد تبعه في ذلك **ابن الجزري**، كما عرف **ابن الطحان** المصطلح موجزا فقال: «والجهر قوة الاعتماد حتى منع النفس أن يجري».

ومما تقدم يخلص الأمر إلى تعاريف ثلاثة ولها ما ذكره **ابن دريد** في **الجمهرة**، وهو تعريف واضح إلاّ أنّه يلتبس بمعنى الشدة فكان تعريفا يستويه النقص، والآخر هو تعريف **سيبويه** الذي نجده عند كل العلماء من بعده نصا فقد شاع هذا التعريف، وصار يدل على هذا المصطلح، ولا سيما أنه اكتسب صفة الثبات لبقاء ألفاظه راسخة في كتب العلماء على مدى قرون عديدة. والثالث تعريف **المبرّد**، وهو أوجز وأصوب التعاريف الثلاثة، ولا ندري سبب إغفال العلماء له يقول الدكتور **عبد العزيز الصيغ**، وما اكسب لتعريف **سيبويه** ذلك القدر من الشيوع هو اقترابه من تعريف علماء التجويد، الذي جاء به 'طاش كبرى زادة' في قوله: «أن النفس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تكيّف كله بكيفية الصوت حتى يحصل الصوت قويا كان مجهورا وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموسا»، فهذا التعريف لا يخرج عن معنى الاعتماد الذي ذكره سيبويه، ما جعل المحدثين يحاولون تفسير ألفاظه التي لم تستبدل والبحث في سر قوتها التي استعصت على التحوير، وهو العالم الذي لم تكن العربية بالنسبة له ميراثا، بل اكتسابا أفاده بالتعلم، وقد عرف عنه عدم استقامة النطق ببعض الأصوات العربية مثل الحاء والعين؛ فقد كان إمام العربية في النحو وهذا يكفي زهز صاحب الكتاب الذي قال فيه أبو الطيّب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين': «وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألّف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل»، وشهد له علماء العربية وليس هذا الغلو إلا نتيجة للصعوبة التي لقيها المحدثون في فهم

المصطلح وفهم عباراته المشكلة، ولما كانت الأصوات المجهورة لدى القدماء. مجهورة لدى المحدثين عدا ثلاثة أصوات عدّها القدماء مجهورة وهي: الهمزة، الطاء والقاف، وعدها المحدثون غير مجهورة. فقد حاول المحدثون أن يفسروا تعريف الجهر كما جاء في عبارة سيبويه على وفق مفهومهم للجهر.

الجهر عند المحدثين:

إنّ مفهوم الجهر بين المحدثين والقدماء يتجه إلى الاتفاق في أكثر الأصوات فهم يتفقون في مفهومه من حيث المبدأ. ولكن التعريفات والاحتجاجات التي تركها القدماء هي القياس الذي به ميّزوا بين الأصوات وسموا صنفا منها مجهورة وأخرى مهموسة وإلى هذا القياس يمكن أن يرجع في دراسة الأصوات الأخرى الثلاثة التي ليست مجهورة في نظر المحدثين وهي مجهورة في نظر القدماء ولولا هذه الأصوات الثلاثة لعد فهم القدماء للجهر هو وفهم المحدثين نفسه.

لم يختلف المحدثون في تصنيفهم للأصوات المجهورة والمهموسة مع القدماء إلا في أصوات ثلاثة وهي: الطاء، القاف والهمزة، ولمّا كان هذا الاختلاف أقل كثيرا من اتفاقهم حيث أنّ بقيّة الأصوات لم تكن موضع خلاف في هذا التقسيم، فقد عدّ بعض الباحثين مفهوم القدماء هو نفسه مفهوم المحدثين.

أمّا العلماء المحدثون فقد ميّزوا الجهر من الهمس باهتزاز الوترين الصوتيين أسعفهم في ذلك الوسائل الحديثة والمختبرات العلمية المجهّزة بالآلات المساعدة التي تستعمل للكشف عن الأصوات، ومن هذه الآلات تستعمل لإثبات الجهر تعرف بآلة **تسوند بيرجيت** يصف البعض الأصوات المجهورة، بأنها تتميز بالشدة أو القوة في صوتها ويصفها آخرون بأنها الأصوات التي تخرج من الصدر، ومنهم الدكتور **منصور بن محمد الغامدي**، ويذكرها فيقول: «وهي: ء/ ،/ أ[*]/ ،/ ع/ ،/ غ/ ،/ ق/ ،/ ج/ ،/ ي/ ،/ ض/ ،/ ل/ ،/ ن/ ،/ ر/ ،/ ط/ ،/ د/ ،/ ز/ ،/ ظ/ ،/ ذ/ ،/ ب/ ،/ م/ ،/ و/.»[1]

---

[*] ورد شكل الألف كالهمزة في الكتاب لعل منصور بن محمد الغامدي أغفل الفرق بين الهمزة والألف فاجلس رمز الهمزة على الألف. الألف وقصد بها الألف أو ربما هو خطأ مطبعي.

[1] منصور بن محمد الغامدي: **الصوتيات العربية**، دط، مكتبة التوبة، الرياض، 1421هـ، ص99.

وعموما فإن ظاهرة الجهر عند المحدثين مرتبطة بالوترين الصوتيين، وذلك بانفتاحهما أو انغلاقهما وشدة اهتزازهما أثناء مرور النفس بينهما، وعلى الرغم من أن هذا التقسيم الجاري وفق الاعتبار المذكور سابقا –الوتران الصوتيان– إلا أن هناك من الباحثين من يعتبره معيار ناقصا؛ لأنه يسقط من اعتباره نطة الانسداد الفوري، ويركز نظره على الوترين وحدهما، ويؤدي الأمر بذاك إلى أن يدخل تحت اسم المجهور صنفان من الأصوات لا صنف واحد صنف كل تصويته من الوترين فقط، وصنف له جانب التصويت، وهذا ما أطلق عليه الأصوات الخوة والتي سنعرج عليها فيما بعد.

قسّم المحدثون الأصوات بحسب مفهومهم للجهر إلى مجهور ومهموس، وقد كانت أصواتهم المجهورة هي التي عند القدماء ما عدا الأصوات الثلاثة السابقة الذكر –الطاء، القاف، الهمزة– تضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء، وهذا الاختلاف بين المحدثين والقدماء في تحديث الأصوات المجهورة يرجع أساسا إلى اختلافهم في مفهوم الجهر، وهذا ما يدل عليه ظاهر الأمر، هذا ما دفع بعض المحدثين إلى إيراد احتمال تغير بعض الأصوات على ما كانت عليه، ولا سيما صوت القاف المجهور الذي يسمع اليوم صوت حنكي لا لهوي. فإن قيل إنهم أخطأوا وإن الصوت مهموس فهل أخطأوا في المخرج كذلك؟ وكيف أصابوا في بقية المخارج؟ بل إن دراستهم للأصوات تدل على دقة وضوح ومنهج صائب، أما مسألة الطاء فهي أقل إشكالا حيث تمتد المسألة فيه إلى أكثر من خلاف الجهر، لهذا نجد بعض علمائنا المحدثين يحترمون ويقدسون تعريف **سيبويه** ومن هؤلاء العلماء الدكتور **إبراهيم أنيس** الذي درس تعريف **سيبويه** للجهر وحاول أن يفسر ألفاظه لفظا لفظا، وذلك ليصل إلى حقيقة هذا التعريف فبدء بشرح لفظة الاعتماد الذي استعملها سيبويه في تعريفه فقال: «قد تبين لنا من تعريف سيبويه أمران متميزان عبّر عن أولهما بعبارة إشباع الاعتماد التي أراد بها أن يصف المجهور صوت متمكن مشبه فيه وضوح ، وليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي»، ولعل الدكتور **إبراهيم أنيس** استنتج ذلك من الفهم الحديث لمعنى الجهر فحاول أن يوفق بين هذا الفهم الحديث وما تعنيه العبارة.

وعلى هذ الأساس فسر عبارة (منع النفس) بعد إن اعترف بالحدس الراقي والحس المرهف، لدى **سيبويه** في شعوره باقتراب الوترين الصوتيين إغلاقهما لمجرى النفس، أما العبارة الثالثة (الموضع)، وهي تعني المخرج عند بعض علمائنا القدامى غير أن الدكتور **إبراهيم أنيس** يرى بأن سيبويه لم يقصد بها المخرج إنما قصد بها مجرى النفس من الرئتين إلى الانطلاق في الهواء الخارجي.

1) الأصوات الشديدة:

1/الشدة لغة: جاء في **لسان العرب** لـ**ابن منظور** أنّ الشدة هي: «الصّلابة نقيض اللين تكون في الجواهر والأغراض والجمع شدد، وشيء شديد بيّن الشدة وشيء شديد مشدّد قوي. وجاءت الشدة بمعنى الجماعة ورجل شديد: شحيح.

2/**الشدة اصطلاحا:** يقصد بالشدة تمام انحصار الصوت عند إسكانه بحيث النّفس محدثا صوتا انفجاريا، وقد ورد في تعريف سيبويه للشدة بقوله: «ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري معه».[1]

والمعنى نفسه عند **ابن جنّي** في قوله: «ومعنى الشديد أنّه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه ألا ترى أنّك لو قلت: الحقّ والشط ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ممتنعا»[2] وتسمى أيضا الحروف الآنية لانغلاق القناة الفوهية مؤقتا أثناء النطق بها والشديدة ثمانية أحرف وهي: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، الدال، التاء والباء. ويجمعها في اللفظ: «أجدت قطبك أو أجدك قطبت».[3]

بينما عرفه **مكي ابن أبي طالب** رابطا بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي قائلا: «ومعنى الشديد أنّه اشتدّ لزومه لموضعه وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به»[4]؛ فنلاحظ من خلال قوله: اشتدّ لزومه لموضعه أنّها تدل على حدوث اتصال محكم وتقارب كبير إلى حدّ الالتصاق بين عضوي المخرج فينحبس الهواء برهة من الزمن وبعد ذلك يخرج بقوة محدثا صوتا انفجاريا ولعل مكي عدّ صفة الشدة من صفات القوة

---

[1] سيبويه: **الكتاب**، ص434.

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص61.

[3] المصدر نفسه: ص61.

[4] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص117.

لهذا السبب يقول عن هذا: «والشدة من علامات قوة الحرف فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوة في الحرف فإذا اجتمع فيه اثنان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء، رابطا في ذلك المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي ولذلك عدّة الشدة من الصفات الرئيسة البارزة التي يمكن أن تتميز بها بعض الحروف.

ولقد شارك **مكي** في ذلك **القرطبي** بينما يعيد الباقلاني والخفاجي عبارة **سيبويه**، أما **الزمخشري** فيعرّف الشديد موجزا في العبارة بقوله: «والشدة أن يحصر صوت الحرف في مخرجه»[1]، وهي أكثر بيانا من عبارة مكي مما يدل على التدرّج في وضوح معنى الشدة لديهم، إلاّ أنّ ابن الحطاب وابن يعيش أعادا عبارة سيبويه، حين جرى السكاكي في التعريف على مجرى الزمخشري قائلا: «إذا ثم الانحصار كما في حروف قولك (أجدك قطبت) سميت شديدة».[2]

أمّا **ابن الحاجب** فقد عرّف الشديد تعريفا اتّكأ فيه على طريقة مبسطة لفهمه وذلك قوله: «ما ينحصر جرى صوته عند إسكانه في موضوعه»[3]؛ أي أنّ الشديد هي التي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف أمّا بقية علمائنا فقد استخدما تعريف المصطلح كما عرّفها **سيبويه** ومن (النشر) **ابن عقيل** في (شرح التسهيل) و**ابن الجزري** في (النشر) و**السيوطي** في (الهمع).

وخلاصة القول إنّ تعريف القدماء لمصطلح الشدة، كما هو معروف اليوم لدى المحدثين نجده في عبارة **الزمخشري** التي سبقت وهي: أن ينحصر صوت الحرف في مخرجه، والمحدثون يعرّفون الشدة بأنّها الصوت الذي يحدثه الانفتاح المفاجئ لممر النفس بعد انغلاقه.

2) الأصوات الرخوة:

---

(1) **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**: ص117.

(2) المرجع نفسه: ص117.

(3) المرجع نفسه: ص117.

تقابل الأصوات الرّخوة عند القدامى مصطلحا حديثا يسمى **بالأصوات الاحتكاكية** وهي تحدث عندما يضيق مجرى الهواء الخارج من الرّئتين في موضع من المواضع ويمر من خلال منفذ يضيق نسبيّا يحدث في خروجه احتكاكا مسموعا. عكس الحروف الشديدة التي يحدث فيها انغلاق آني للتجويف الفموي، فقد أشار العرب إلى أمر الجريان بالنسبة للنّفس وعدمه ووافقوا بذلك الدراسات الحديثة التي أثبتت بعد استقراء العلماء أنّ «الشديد من الأصوات الآنية الحديثة التي لا يمكن ترديدها لإنتاجها بانتهاء العائق الحادث التقاء عضوي النطق عكس الأصوات الرخوة التي يستمر فيها الترديد لأنها من الأصوات المتواصلة». [1]

ويبدو أنّ انتباههم إلى الآنية والتواصل هو الذي ساعدهم في تمييز الأصوات الشديدة والرخوة فلم يجد العلماء المحدثين معهم فيها خلافا كبيرا.

الرخاوة لغة: جاء في **لسان العرب:** «قال ابن سيدة: الرخوة والرخو الهش من كل شيء وهو الذي فيه رخاوة».

الرخاوة اصطلاحا: عدم انحباس الهواء انحباسا محكما عند النطق[2] ، بل إنّ مجرى النّفس يبقى مستمرا عند المخرج ضيّق جدا مما يسمح بمرور النّفس محدثا نوعا من الصفير أو الحفيف وتختلف نسبة هذا الحفيف تبعا لنسبة ضيق المخرج أو المجرى مع النّفس «فالرخاوة هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أنّك تقول القش، الرش والمسح ونحو ذلك فنجد الصوت جاريا مع السين الشين والحاء».[1]

وهذا المصطلح ذكره **سيبويه** مقابلا لمصطلح الشدة فقال: «ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه... ومنها الرخوة وهي الهاء والحاء، وذلك إذا قلت الطس والقص، وأشباه ذلك أجري فيه الصوت إذا شئت»، [2] ولقد جاء في تعريف **سيبويه** للرخو في قوله هو: «الحرف الذي يجري فيه الصوت من غير ترديد لتجافي اللسان عن موضع الحرف".

---

[1] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص 67.

[2] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي للدراسات العربية**، ص122.

[1] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج5، مادة "رخا".

[2] عبد العزيز الصيغ: **مرجع سابق**، ص122.

وقد عرّف **المبرّد** المصطلح من خلال تعريفه للأصوات الرخوة فقال: «ومن الحروف تجري مع النفس و ي التي تسمى الرخوة»؛[3] وهو تعريف أوضح من تعريف **سيبويه** الذي قال: «يجري فيه الصوت» فقد شمل تعريف **المبرّد** جريان النفس الذي يكون مع انفراج عضوي النطق وهي ميزة تختص بها الأصوات الرخوة التي يتم نطقها باتخاذ عضوي المخرج والسماح للنفس بالمرور، وقد فضّل **ابن جني** عبارة **سيبويه** باستخدامها حين عرّف الصوت الرخو قائلا: «و الرخو هو الذي يجري فيه الصوت ،ألا ترى أنك تقول المس، الرش والشح ونحو ذلك فتمد الصوت جريانا مع السين والشين والحاء».[4] فالرخاوة في الحروف التي تسمح للأصوات بالجري فيها وحصرها **سيبويه** في قوله: «ومنها الرخوة وهي: الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال والفاء»[5]، وتبعه في ذلك **مكّي بن أبي طالب**؛ حيث استعمل ألفاظه إلا أنه قصد به الصوت المهموس لذلك وجد العلماء التباس في مفهوم الرخاوة، والهمس عند **مكّي** فقد عرّف الصوت المهموس قائلا: «ومعنى الحرف المهموس أنّه حرف جرى مع النفس عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد عليه عند خروجه».

وعموما فإن مفهوم الرخاوة عند علماء العرب القدامى يتلخّص في تعريف **ابن جني** السابق الذكر، وبالمقارنة بين الشديد والرخو فإن الهواء يتوقف في الأول ويستمر في الثاني كما أنّ خروج الهواء فيهما مختلف فهو في الأوّل أشدّ سرعة، وفي الثاني سرعة عادية ونلمس ذلك لو وضعنا ورقة أمام الفم ونطقنا بصوت من الأوّل وآخر من الثاني حيث نلاحظ قوة اهتزاز الورقة في الأوّل دون الثاني.

3. الأصوات بين الشدة والرخاوة(التوسط):

وهو الصوت الذي يضيق معه مجرى الهواء ضيقا لا يصل إلى درجة يكون له احتكاك وهذا ما يسميه المتقدمون بين الشدة والرخاوة، كما يسمونه تارة أخرى بصوت لا شديد ولا رخو ويسمونه أحيانا المتوسط «فهو يحدث أثناء اتصال بين عضوي النطق كما

---

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي للدراسات العربية**، ص122.

[4] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص61.

[5] سيبويه: **الكتاب**، ص 435، 434.

هو الحال في الأصوات الشديدة، إلا أنّ الصوت يجري مجاري أخرى فيكتسب الصوت صفة الرخاوة أيضا»، [1] وهذا المصطلح من مصطلحات **سيبويه** أطلقه على الأصوات التي لم تتم فيها صفة الشدة كما لم تتم فيها صفة الرخاوة وإنما كانت تجمع الصفتين وقد عددها «وهي: العين، اللام، النون والراء».[2]

أما العين فأطلق الوصف مباشرة قائلا: «أما العين فبين الرخوة الشديدة»، أما اللام والنون والميم والراء فقد وصف كلا منها بأنها صوت شديد يجري فيه الصوت. وأما الأصوات الثلاثة وهي الواو، الياء والألف فلا يبدو من وصفه أنّه يعدّها من بين الرخوة والشديدة حيث وصفها باتساع المخرج، إلا أنّ **المبرّد** جعل هذه الأصوات من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة قائلا: وهذه الحروف تعترض بين الرخاوة والشدة هي شديدة في الأصل وإنما يجري فيها النفس لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة كالعين... وكالنون... وكحروف المدّ واللين التي يجري فيها الصوت للينها.

وقد صنع **ابن جني** صنيع المبرد فعد الأصوات بين الشديدة والرخوة ثمانية، وهي ما ذكرناها قائلا: «والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا وهي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم والواو».[1]

صنيع **المبرّد** فعدّ ا وقد جمعها في لفظ 'لم يرو عنا' أو 'يروّ عنا' أو 'لم يرعونا' ووافق: «والمتوسط بين الشدة والرخاوة خمسة يجمعها قولك 'لن عمر' وأضاف بعضهم الواو والياء».

وخلاصة قولنا أنّ علماء العرب القدامى قسّموا هذه الحروف على هذه التصنيفات بالاعتماد على معرفة من أبن خرج صوت معين عند النطق به ساكنا؟ ولا بد من اعتبار هذا لأنّا إذا نطقنا به محرّكا فقد نصف صوتين لا واحدا أو صوتا مؤثّرا عليه.

فالأصوات الشديدة (وعلامتها هي انقطاع الصوت لفترة) هي: ء، ق، ك، ج، د، ط، ت، ب، عند المتقدمين وجمعوها في "أجدت قطبك"، وأما الأصوات الرخوة (وعلامتها أنّ الصوت لا ينقطع مع إحداث احتكاك) وهي ما سوى "أجدت قطب"، و"يرملن" وحروف

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص129.

[2] المرجع نفسه: ص129.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص61.

اللين، بعضها أكثر رخاوة من بعض بمعنى أنّ الضيق مع بعضها أكثر منه مع البعض الآخر، أماّ الأصوات المتوسطة (علامتها أنّ الصوت لا ينقطع دون إحداث احتكاك) فهي: ن، م ،و ،ي ، ر ،ل، أ، ويجمعها قولك 'و يرملان'.

4. الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة عند المحدثين:

لقد انصرف المحدثون من علماء الأصوات عن استخدام المصطلح (الشدة) انصرافا شبه تام، واستبدلوا مصطلحا شائعا الآن في كتبهم، وهو (الانفجارية) وهي ترجمة للفظ الأجنبي Plosive.

إلا أن هناك ألفاظا أخرى استعملت للدلالة على المصطلح نفسه منها «لفظ الوقفية، الاحتباسية، الانسدادية، الآنية، واللحظية»،[1] وهذا المصطلح (آني) استعمله علماء التجويد، ويرجع تعدد المصطلح إلى اختلاف الترجمات بلغات متعددة فإذا كان مصطلح انفجاري ترجمة للفظ المذكور سابقا فإن كلمات وقفي، احتباسي، انسدادي وآني ترجمة لكلمة stop.[2]

والواضح أنّ التسمية الأولى تعود إلى عملية التصويت التي تكون بغلق ممر الهواء ثم انفتاحه فجأة بينما التسميات الأخرى تعود إلى حالة احتباس الهواء عند المخرج أو بانسداد مجراه، أو وقفه وكلمة آني تعود إلى المدى الزمني القصير الذي يأخذه الصوت للنطق به، وهي لحظة قصيرة إذا ما قورنت بالمدى الزّمني الأطول الذي يأخذه الصوت الرخو، ولذلك سمي امتدادا.

ومن العلماء المحدثين الذين درسوا هذه الظاهرة ووضعوا مصطلح الانفجار بديلا عن شدة كمال بشر حيث يوضح كيفية حدوث الصوت الانفجاري بقوله: «بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضبط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا».[3]

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص121.

[2] المرجع نفسه، ص121.

[3] كمال بشر: **علم الأصوات**، ص247.

والأصوات العربية الشديدة كما تؤديها التجارب الحديثة هي: «ب، ت، د، ط، ض، ك، ق والجيم القاهرية»،[1] أمّا الجيم الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدّتها.

وعموما فقد اتّفق المحدثون والقدماء في جمع حروف هذا الصنف في لفظ "أجد قط بكت"

أمّا عن الأصوات الرخوة فقد تحدث عنها المحدثون فقدّموا لها اسما بديلا عن الأصوات الرخوة، وهو **الأصوات الاحتكاكية**، ومن هؤلاء المحدثون نجد **إبراهيم أنيس** الذي تحدث عنها في كتابه وتحدث عن كيفية حدوثها فقال: «وأمّا الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنّما يكتفي بأن يكون مجراه ضيّقا ويترتّب على ضيق المجرى أنّ النّفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى».[2]

فعندما يخرج النّفس من الرئتين متجها إلى الخارج ينحصر في ضيق جدا فيحدث صفيرا وترى ذلك إذا نطقت بالسين أو الزاي وقد يكون أشدّ ضيق فيحدث حفيفا تلمس وتحس به إذ ما نطقت بالفاء، فدرجة الرخاوة تختلف من صوت إلى آخر يحدد هذا التمايز والتفاضل في درجة الرخاوة ضيق المخرج واتّساعه؛ «فهي الأصوات التي يتقارب فيها عضوان نطقيان لدرجة تسمح باضطراب الهواء المار بينهما».[3]

وعموما فإنّ المحدثون لا يختلفون مع القدماء في المفهوم، ولاسيما أنّ الاصوات الرخوة لدى القدماء هي الرخوة لدى المحدثين عدا صوت "الضاد" الذي كان يعدّ من الأصوات الرخوة، أمّا المحدثون فلم يعدّوه منها فقد لحق هذا الصوت تغيير؛ إذ إنّه لا ينطق اليوم كما كان ينطق في القرون الأولى وقد تناول صعوبة نطقه كثير من العلماء ولاسيما التباسه مع صوت الظاء الذي يؤكد العلماء أنّه يشبهه في كلّ شيء عدا الاستطالة التي يتميز بها حرف الظاء، بل إنّ بعضهم عدّ هذا هو السبب الذي من أجله أطلقوا صفة الاستطالة على صوت الضاد، ولا سيما أنّ الاستطالة صفة يمكن أن تتصف

---

[1] **مقاربة في علم الأصوات**، ص51.

[2] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص25.

[3] منصور بن محمد الغامدي: **الصوتيات العربية**، ص77.

بها أصوات أخرى، ولكن رغبتهم في فصل الظاء على الضاد خصوا الظاء بصفة الاستطالة.

كما نجد اختلافا بين المحدثين والقدماء في صوت الجيم الذي عدّه **سيبويه** صوتا شديدا، وعدّه **إبراهيم أنيس** صوتا متوسطا بين الشدة والرخاوة، وهذا الاختلاف يشبه اختلافهم في صوت العين مع ملاحظة أنّ صوت العين عند القدماء بين الشديد والرخو، وتجلى ذلك في مقولة **سيبويه** التي ذكرناها آنفا، «أما المحدثون فقد عدّوه رخوا».[1]

ويعود هذا الاختلاف حسب كثير من العلماء إلى أنّ الجيم المسموعة في البلد العربية اليوم هي جيمات ثلاثة وهي: «الجيم الموصوفة بالفصحى وهي المعروفة بالمعطشة، والجيم القاهرية وهي مجهور الكاف، والجيم الشامية وهي مجهور الشين».[2]

ولمّا كانت الجيم التي ينطقها المقرئون هي بين الشدة والرخاوة والقرآن نقل محفوظ بأصواته، فقد عدّ هذا الصوت المسموع اليوم هو صوت الجيم القديم، وهي التي وصفها إبراهيم أنيس «بقلة الشدة أمّا الشديدة فهي مجهورة الكاف وأمّا الشامية فهي رخوة»[3]

لا يختلف إذا مفهوم المحدثين عن مفهوم القدماء إلا أنّ المحدثين جروا على استعمال ألفاظ أخرى غير لفظ الرخاوة أكثرها شيوعا الاحتكاك مقابلا للانفجار الذي أطلقوه على الشديد، وهو شائع عند كثير من العلماء مثل: **السعران، كمال بشر** و**محمود فهمي حجازي**، وغيرهم إلى جانب هذه التسميات توجد تسميات أخرى مثل: **الطليق** التي يستعملها **الأنطاكي صافرات** و**شينيات** التي يستعملها **ريمون طحان**، و**متماد** الذي يستعمله الدكتور **محمود مندور**، لكن هذه التسميات هي أقل شيوعا من الأول.

أما الأصوات المتوسطة أو كما يطلق عليها قديما بين **الشدة والرخاوة** فلم يبتعد فيها المحدثون عن القدماء في مفهومها؛ إذ يعرّفها أحمد زرقة في كتابه **أسرار الحروف**، فيقول: «الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة هي التي لم ينحبس الصوت معها انحباسا

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص127.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص127.

مع الشديدة، ولم يجر معها جريانه مع الرخوة هي خمسة: اللام، النون، العين، الميم والراء».[1]

ونلاحظ من خلال قول أحمد زرقة أنّه اتّبع **ابن الجزري** في حصر عدد الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة في خمس، وهي (ل، ن، ع، م، ر).

المائعة لها بدل المتوسطة فقال: «المحدثون من علماء الأصوات قد برهنوا بتجاربهم على أنّ هذه الأصوات الأربعة تكون مجموعة خاصة لاهي بالشديدة ولا بالرخوة وسمّوها أي الأصوات المائعة أما تسميتها بالأصوات المتوسطة فليست تعني أكثر من أنّها تخالف النوعين السابقين أي أنها ليست بالشديدة ولا الرخوة». [2]

فالدكتور **إبراهيم أنيس** عدّد الأصوات المتوسطة أربعة فقط وأخرج حرف العين من المجموعة، وشك في انطباق صفة التوسط على حرف العين قائلا: «ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجّح صحّة هذه الصفة للعين بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها».[3]

ومن العلماء المحدثين أيضا نجد الدكتور **رمضان عبد التوّاب** الذي تحدث عن كيفية حدوث هذه الأصوات، وذكر أنّ السبب في هذه الحالة: «إما لأنّ مجرى الهواء يتجنب المرور بنقطة السد أو التضيّق كما في صوت اللام، لأن هذا التضيّق غير ذي استقرار كما في صوت الراء لأن الهواء لا يمرّ بالفم وإنّما يمرّ بالأنف كما في صوت الميم والنون».[1]

الإطباق: والانفتاح:

1/الاطباق: * لغة: جاء في **لسان العرب:** «الطبق غطاء كل شيء وجمع أطباق وقد أطبقه وطبقه فانطبق وتطبّق، غطاه وجعله مطبقا وقد طابقه وطباقا وتطابق الشيئان تساويا، والمطابقة والتطابق الاتّفاق وطبق الغيث الأرض ملأها ودعمها».

---

[1] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ط1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص81.

[2] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص26.

[1] حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، ص40.

* **اصطلاحا:** وهذا المصطلح من مصطلحات سيبويه وكان الخليل يسمى الميم مطبقة لأنّها تطبق الفم إذا ما نطقت بها يقول سيبويه: "وهذه الحروف الأربعة –حروف الإطباق– إذا لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهن إلى أن حدى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف...ولولا الإطباق لصارت الطاء دالّة والصاد سينا والظاء ذالا».[2]

فـ**سيبويه** من خلال قوله هذا قد بيّن كيفية حدوث الحروف المطبقة وهذا ما فسّره الدكتور **حسام سعيد النعيمي**، حين قال: «بأنّ حدوث الإطباق نتيجة إسهام طبق اللسان أو إن شئت ظهره من أقصاه وأدناه مع الحنك من أقصاه وأدناه في إخراج الحرف... فإنّ اشتراك أقصى اللسان وطرفه سوغ لهم استعمال لفظ الإطباق.».[3]

أما **ابن جنّي** فقد ذكر الأصوات الأربعة معرفا الإطباق بقوله: «لأنّك إذا لفظت بها أطبقت عليها حتى تمنع النّفس أن يجري معها، وهو تعريف غير دقيق فصوت الصاد لا يمنع النّفس المجرى معه».[1]

وقد أوجز **ابن جني** عبارة **سيبويه** قائلا: «فالمطبقة أربعة وهي الضاد الطاء الصاد الظاء... والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والضاد ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنّه ليس من موضوعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه».[2]

أمّا **مكي** فقد رأى أن الإطباق يكون بانطباق جزء من اللسان وليس كل اللسان؛ لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم، كما أنه رأى أن الإطباق درجات، وأن الأصوات المطبقة بعضها أقوى من بعض والطاء أقواها جميعا، وقد وافقه في ذلك **ابن الطحان** و**ابن الجزري**، «أما أكثر العلماء فهم على تعريف سيبويه

---

[2] سيبويه: **الكتاب**، ص 436.

[3] حسام سعيد النعيم: **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دط، دار رشيد للطبع، 1990، ص318.

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 134.

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص61.

ولكن دون الالتزام بعبارته وإنما تختلف التعابير والمعنى واحد وهو انطباق اللسان على الحنك الأعلى وحصر الصوت بين اللسان والحنك وليس مع النّفس كما أورده ابن دريد».[3] «ولا يكون الإطباق تاما إلا مع الطاء».[4]

2/الانفتاح: * لغة: الانفتاح ضد الانغلاق، جاء في اللسان: «الفتح نقيض الإغلاق وباب فتح أي واسع مفتح» وفي حديث أبي الدرداء «ومن يأتي بابا مغلقا يجد إلى جنبه بابا فتحا أي واسعا».[1]

*** اصطلاحا:** الانفتاح هو ضد الإطباق، وهو عدم رفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى وتأخره نحو الجدار الخلفي للحلق عند النطق بالصوت و«مصطلح الانفتاح ذكره سيبويه في كتابه ولم يذكره أحد قبله فهو واضع هذا المصطلح».[2]

وقد عرفها قائلا: «فأما المطبقة فالصاد، الضاد، الطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى».[3]

«والانفتاح قد يعني الترقيق كما قد يعني الإطباق التفخيم فالأصوات المنفتحة أصوات مرققة».[4] وحروف الانفتاح أربعة وعشرون مجموعة في قولك: (من أخذ وجذ سعة نزكا حق له شرب غيث) وهي: ميم، نون، الهمزة، الخاء، الذال، الواو، الجيم، الدال، السين، العين، التاء، الزاي، الكاف، الحاء، القاف، اللام، الحاء، الشين، الراء، الباء، الغين، الياء والثاء، وهذه الحروف هي ما ذل عليها قول ابن جني «وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق».[5]

---

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص134.

[4] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص92.

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص138.

[2] المرجع نفسه، ص138.

[3] سيبويه: **الكتاب**، 336.

[4] عبد العزيز الصيغ: **مرجع سابق**، ص138.

[5] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص61.

والانفتاح قيمة صوتية خلافية تميز أربعة أصوات بحسب النطق الآني: وهي الذال النظر المرقق للضاد المصرية، والتاء النظير، المرقق للطاء، والدال النظير المرقق للظاء النظير، والسين المرقق للصاد، وبقية الأصوات المرققة أو المنفتحة ليس لها نظائر.

أما عند المحدثين فرأيهم في هذا التقسيم (الإطباق والانفتاح) لم يكن فيه اختلاف كبير مع القدامى؛ إذ إنّ كثيرا منهم فهم على تعريف **سيبويه**، لكن دون الالتزام بعبارته وإنما تختلف التعابير والمعنى واحد، فمثلا في الإطباق هو عند المحدثين انطباق اللسان على الحنك الأعلى، وحصر الصوت بين اللسان والحنك، وليس مع النفس كما أورد **ابن دريد**، ولذا فإن الإطباق يستلزم حصر الصوت، وهدا ما لم ينتبه إليه كثير من العلماء ما دفع بعض المحدثين إلى القول: إنّ العرب قد جاوزوا الدقة؛ لأنه على الرغم من التصاق مقدمة اللسان مقدمة الحنك وارتفاع مؤخرته نحو السقف فإن وسط اللسان يكون منخفضاً.

كما أن المحدثين قد أخلطوا بين صفات الإطباق والتفخيم والاستعلاء، رغم وجود فوارق بينهما فالتفخيم لا يقتضي اللسان مع الحنك الأعلى إلا أن **كانتينو** عدّ مصطلح الإطباق بعيد عن الوضوح وقد رأى ذلك أيضا الدكتور **النعيمي**، وذلك راجع إلى أن **كانتينو** ظن أن النحاة القدامى قصدوا "بالطبق" الحنك الأعلى، بينما قصد بها العرب القدامى صفة الإطباق والإلصاق بين اللسان والحنك الأعلى، ويرجع هذا الاختلاف في التفاهم على المصطلح بين القدامى والمحدثين إلى أنّ العلماء اكتفوا بتعريف **سيبويه** وأعادوه، كما أنّ بعضهم غيّر العبارات فأشكل عليه الأمر بعد أن قصد توضيح المعنى، والتزم بعضهم العلماء بحرفية النّص. بينما اختلفت العبارة عند أكثرهم ويذكر **إبراهيم عطية** عوامل أخرى فيقول: «الإطباق عند المحدثين صفة من صفات الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الراء، اللام والقاف، ويعنون به اتخاذ اللسان شكلا مقعّرا عند النّطق بهذه الأصوات... كما لم ينتهوا إلى القيمة التفخيمية الجزئية لصوت القاف ولعلّ مردّ ذلك آت من عدم وجود صوت مرقق له عندهم».[1]

[1] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص57.

أمّا عند الانفتاح، فهو عند المحدثين: «انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى وخروج النّفس من بينهما عند النطق بحروفه الأربعة والعشرين الباقية والتي يتم استخدام جزء يسير من مقدمة اللسان عند النطق بها».[1]

وحروف الانفتاح عند المحدثين هي مجموعة في قولك: «من أخد سعة نزكا حق له شرب غيث»، وهي مفردة كما يلي: (م. ن. أ .خ. ذ. و. ج. د. س .ع. ت . ز. ك .ح .ق. ل. هـ. ش. ر. ب. غ. ي. ث).

إلا أن هناك بعض الاختلاف بين المحدثين والقدامى في بعض الحروف، مثل: اللام والنون والقاف والتي عدّها المحدثين مطبقة وفيها شيء من الانفتاح وحروف الراء، الذي عدّه المحدثون منفتحا، وعدّه القدامى مطبقا وذلك راجع إلى أن الحصر بطرف اللسان لا يعدّ إطباقا عند المحدثين.

الاستعلاء والاستفال:

1/الاستعلاء: * لغة: جاء في لسان العرب: «علا علو كل شيء علوة وعَلوَة وعُلاوتُه وعاليه وعاليته: أرفعه، قال ابن السكيت: سقل الدار وعلوّها. وسخلها وعلوها في حديث ابن العبّاس: (فإذا هو يتعلّى علّي)[*] أي يترفع عليّ وعلاه علوا واستعلاء وعلا به، فالاستعلاء في اللغة يعني الارتفاع وأعلاه وعالاه وعلى به».[2]

*** اصطلاحا:** المعنى الاصطلاحي للاستعلاء هو: «ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف الحنك الأعلى وحروفه سبعة وهي: (الخاء، الغين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، القاف والاستعلاء من صفات القوة».[1]

وقد ذكر **سيبويه** المصطلح في حديثه عن الحروف التي تمنع الإمالة، وهذه حروف الاستعلاء قال: «فالحروف التي تمنعها الإمالة هي السبعة (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الغين، القاف والخاء) إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه، وذلك:

---

[1] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص92.

[*] صحيح البخاري: **كتاب تفسير القرآن**.

[2] جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج9، مادة "علا".

[1] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص 92.

(قاعد وغالب وخامد وصاعد وطائف وصامت وظالم)، وإنّما منعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى».[2]

وهذا التقسيم تفرّد به العلماء العرب وأقرّه المحدثين منهم يهدف إلى تقسيمها من حيث ارتفاع مؤخر اللسان صوب الحنك الأعلى، أو انخفاضها عنه فالأصوات التي يتم معها ارتفاع مؤخرة اللسان سميت عندهم بالمستعلية، وتشمل أصوات «الخاء، الغين، القاف، الضاد، الطاء، الصاد والظاء»[3]

أما عند **ابن جني** فقد ذكر المصطلح بصورة واضحة عكس **سيبويه** الذي ذكر ووصف هذه الأصوات السبعة وصفا عريضا التي في نهاية الجملة فقال: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة فيها مع استعلائها إطباقا وقد ذكرناها وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها».[4]

فقد ورد مفهوم الاستعلاء عنده في التصعد نحو الحنك الأعلى، وهو يريد ارتفاع مؤخرة اللسان فيها، وقد تبيّن لنا ذلك من خلال قوله إن أصوات الاستعلاء، التي ذكرها العرب لا تخرج عن كونها لهوية كالقاف، أو طبقة كالعين والخاء وأسنانية كالصاد والضاد والطاء والظاء، وترتفع معها جميعا مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى كما أشار **ابن جني** وسواه.

2/الاستيفال:* لغة:جاء في **لسان العرب:** «السّفل والسّفل والسّفول والسّفال والسّفالة بالضم نقيض العلوّ والسّفلى: نقض العليا، والسّفل: نقيض العلوّ، والتّعلّي والسّافلة: نقيض العالية في الرّمح والنّهر، وغيره والسافل نقيض العالي والسّفلة نقيض العلية السّفال: نقيض العلاء». [1]

* **اصطلاحا:** المعنى الاصطلاحي للاستيفال هو«انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم، وحروفه ما عدا حروف الاستعلاء المذكورة سابقا ومن

---

[2] سيبويه: **الكتاب**، ج4، ص 129، 128.

[3] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص57.

[4] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص62.

[1] خليل ابراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص57.

صفاته يضعّف إلى الراء واللام المفخمتان في بعض الحالات»،[2] وهي اثنان وعشرون حرفا وقد أطلق عليه **الخليل** مصطلح **الإخفاق**، وهو مصطلح استعمله بعده عدد من العلماء، مثل: **الخفاجي، الزمخشري، ابن الأنباري، السكاكي، ابن يعيش** كما نجد منهم **ابن جني** الذي قال فيه: «وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض»،[3] «أما الاستيفال فهي عبارة سيبويه التي جاءت في معرض حديثه عن الإمالة فقال:»،[4] «ألا تراهم يقولوا: صبقت وصقت وصويق، لما كان يستثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفل ثم يصعدون ألسنتهم أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء أن لا يعلموا في الاصعاد بعد التسفل»،[1] والتسفل مصطلح شاع عند علماء التجويد فقد استعمله **ابن الجزري ومكي وابن الطحان والمرعشي** وغيرهم.

ولا نجد **سيبويه** يعرف الاستيفال أو التسفل، إلا أنه ذكر تعريف الاستعلاء والاستيفال ضده قائلا: «وإنّما صنعت هذه الحروف الإمالة لأنّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»، [2] ولا نجد من عني بتعريف الاستفال إلاّ **مكي ابن أبي طالب** في كتابه **الرعاية** قائلا: «وإنما سميت مستفلة لأنّ اللّسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية»،[3] وأكثر العلماء يعرّفون الأصوات المستفلة بقولهم: إنّها ما سوى المستعلية وأنّ الاستفال هو ما عدا الاستعلاء.

إذن الاستعلاء والاستفال صفتان متقابلتان، فكل حرف ليس من حروف الاستعلاء هو بالضرورة من حروف الاستفال، وبالتالي يمكن حصر الاستفال في اثنين وعشرين حرفا وهي: **ب، م، و، ف، ذ، ث، ز، س، ر، ل، ن، ش، ج، ي، ك، ع، ح، ء، هـ،** حرف المد الألف؛ أي حركة الفتحة الطويلة.

---

[2] المرجع نفسه، ص 57.

[3] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 62.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، مادة "سفل".

[1] سيبويه: **الكتاب**، 130.

[2] سيبويه: **الكتاب**، ص129.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص143.

الاستعلاء والاستفال عند المحدثين: عن الاستعلاء قد اختلف فيه المحدثون مع القدامى في ثلاث حروف، هي: «**القاف، الغين، الخاء**» فهذه الأصوات الثلاثة يسميها المحدثون **الأصوات الطبقية** ينسبونها إلى المنطقة التي يلتقي مؤخر اللسان عند النطق بها، وهي الطبق أو (الحنك الليّن)،[4] وحين كانت صفة الاستعلاء تجمع أصوات الإطباق، وهي مفخمة والأصوات الطبقية، وهي أقل تفخيما عدّ بعض المحدثين ذلك سبب في القول: **إنّ النحاة العرب لم يفرقوا بينهما (أي الطبقية والإطباق)**، بل أطلقوا عليهما معا اسم الاستعلاء وأنّ كليهما ينتج بعض القيم التفخيمية.

وقد أشار **شاهين** أنّ العلماء بعد سيبويه أدركوا وجود مجموعة الأصوات الثلاثة، القاف، الخاء، الغين، وهي مجموعة بأصوات الإطباق الأربعة، وقد فات الدكتور **شاهين** حسب صاحب كتاب **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية عبد العزيز الصيغ**، أنّ سيبويه ذكر السبعة في باب الإمالة واصفا إيّاها بالاستعلاء وصفة التفخيم غير صفة الاستعلاء؛ إذ إنّ هناك فرق بينهما.

ويذكر **خليل إبراهيم عطية** إغفال القدماء لصوتي الراء واللام المفخمتين، وعدم عدّها من حروف الاستعلاء قائلا: «ومع ذلك كلّه فإننا نفتقد صوتي الراء واللام المفخمتين فإنّ مؤخّرة اللسان فيهما ترتفع أيضا».[1]

مضيفا «ولا يفوتني الإشارة إلى إقرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة تسمية الصوت المستعلي velarized consonant».[2]

أما عن الاستفال فقد جمع بعض المحدثين «بين صفتي الانفتاح والاستفال ودمجهما في صفة الترقيق من وصفهم للأصوات إمّا بالتفخيم وهي أصوات الإطباق وإمّا بالترقيق وغيرها وعدم استخدامه صفة الاستعلاء وضدّها أو الإطباق وضده».[3]

---

[4] المرجع نفسه، ص142.

[1] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص58.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص146.

وعموما فقد حافظ المحدثون على مفهوم الاستفال في مضمون تعريف **سيبويه** له بخاصة والعلماء القدامى بصفة عامة، إذ بقي المعنى واحد وهو «انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم».[1]

1) التفخيم والترقيق:

1/التفخيم: * لغة: جاء في **لسان العرب:** «فخم الشيء يفخم فخامة وهو فخم: عيل والأنثى فخمة وفَخُمَ الرجل بالضم فخامة أي ضَخُمَ، ورجل فخم أي عظيم القدر، وفخّمه وتفخّمه: أجلّه وعظّمه، والتفخيم: التعظيم وفخّم الكلام: عظّمه ومنطق فخم: جزل».[2]

***اصطلاحا:** التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخّرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم عند النطق بالصوت.

وأصوات التفخيم هي: الصاد، الضاد، الظاء، الطاء، اللام، الراء والألف.

والتفخيم أيضا من مصطلحات **سيبويه**، وقد وصف بها أحد الأصوات الفروع المستحسنة، فقال: «وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز»[3]، وقد ذكر ألفا أخرى مقابلا لها، وهي الألف التي تمال إمالة شديدة ولم يذكر صفة التفخيم في أي موضع من الكتاب؛[4] إذ أبدل المصطلح بلفظ أهل الحجاز، فكان إذا أراد أن يقصد التفخيم يقول أهل الحجاز في مثل قوله: «أهل الحجاز لا يميلون هذه الألف"أو" فأما العامة فلا يميلون»، وتبعه في ذلك **ابن جني** حين شرح معنى الألفين مؤكدا هذا التقابل، إلاّ أنّ معنى التفخيم في الكتب التي أتت بعد ذلك استخدمت التفخيم ضدا للإمالة، فقال **ابن فارس:** «ومنها الاختلاف في الإمالة والتفخيم»، مقابلا التفخيم بالإمالة، فقال: «وأمّا ألف الإمالة التي تجدها في الألف والياء نحو قولك: علم وخاتم... وأمّا ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سلام عليك وقام زيد».[1]

---

[1] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص92.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص449، مادة "فخم".

[3] سيبويه: **الكتاب**، ص432.

[4] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص146.

[1] ابن جنّي: **سر صناعة الإعراب**، ص51.

إنّ التفخيم اكتسب صفة الشيوع عند علمائنا القدامى، وبالتحديد عند علماء القراءات والتجويد، وهو المعنى الذي استقرّ في كتبهم ومباحثهم، فأطلقوه على أصوات الإطباق ولصوتين اثنين هما الراء واللام. واختلفوا في تفخيم الألف، فنجد **ابن جزري** يقول: «وأمّا الألف فالصحيح أنّها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما يتقدّمها فإنّها تتبعه ترقيقا وتفخيما».

ومعنى تفخيم الألف، هو: دخول صوت الواو أو الضمة الخلفية في الألف والفتحة، وهذا ما يفسّر رسم الألف المفخمة في القرآن الكريم واوا، فقد كُتبت (الصلوة) بالواو على لغة الذين فخّموا الألف.

2) الترقيق: * لغة: جاء في **لسان العرب:** «الرقيق نقيض الغليظ والثخين والرقة: ضد الغلظ... وأرق الشيء ورققه: جعله رقيقا، واسترقّ الشيء: نقيض استغلظه، ويقال مال مترقرق الهزال، ومترقرق لأن يرمد أي متهيئ له تراه قد دنا من ذلك... وترقيق الكلام: تحسينه... وترققت له: إذا رقّ له قلبك».[1]

*** اصطلاحا:** «هو الأثر السمعي الناشئ من عدم تراجع مؤخر اللسان بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت».[2] والأصوات المرققة هي جميع الأصوات عدا أصوات الإطباق والراء واللام والألف أي عدا الأصوات المفخمة.

والترقيق مصطلح شاع عند علماء القراءات والتجويد، وقد ورد المصطلح في قصيدة **الخاقاني الشهيد** في حديثه عن ترقيق الراء فقال:

وأرقق بيان الراء واللام تندب لسانك حتى تنظم القول كالدر

أمّا عند العلماء القدامى فقليلا ما يذكرون المصطلح، فمثلا عند **مكي** لم يذكر صفة الترقيق مع الصفات التي ذكرها في كتابه **الرعاية**، بل ذكر التفخيم دون أن يذكرها، إلا أنّها جاءت في معرض حديثه عن اللام والراء فقد ذكر اللام قائلا: «وأكثر ما يقع لفظ اللام مرققا غير مغلظ لاسيما إذا كان بعدها ألفا». ويعرّف علماء التجويد بقولهم: «هو عبارة عن تحول يدخل على جسم الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه». ويخص بعضهم جميع

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج10، ص125، 121.

[2] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص150.

الأصوات ماعدا الأصوات المستعلية واللام والراء بهده الصّفة، بينما يحصر بعضهم هده الصفة في جميع الأصوات عدا الأصوات المطبقة واللام والراء والألف، وقد عنوا بدراسة صوتي اللام والراء، ومواضع التفخيم والترقيق فيها، وقد ذكر **ابن الجزري** في كتابه **النّشر** قائلا: «الحروف المستفلة كلّها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلاّ اللام في اسم الله تعالى بعد فتحه أو ضمه إجماعا أو بُعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات، وألاّ الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا في أكثر الروايات الساكنة في بعض الأحوال».

الإصمات الاذلاق: 1) الإصمات: * لغة: مأخوذ من الصمت وهو المنع.

***اصطلاحا:** وهي حروف «سميت بذلك لأنّها ممنوعة من انفرادها في كلمة على أربعة أحرف أو خمسة بمعنى أنّ كل كلمة يكون فيها حرف أو أكثر الحروف المذلقة إلى جانب الحروف المصمتة».[1]

وحروفها ثلاثة وعشرون حرفا وهي:[2] ج، ز، غ، ش، س، خ، ط، ص، ي، د، ث، ق، ت، أ، ذ، و، ع، ظ، هـ، ج، ض، ك».

ومصطلح الاصمات ذكره **ابن جنّي** في قوله: «ومنها الحروف المصمتة، وهي باقي الحروف الستة سر طريق ينفتح به في اللغة وذلك أنّك متى رأيت اسما رباعيّا أو خماسيّا غير ذي زوائد فلابد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة وذلك نحو: جعفر ففيه الفاء والراء وتعصب فيه الباء».[1]

وقد جعل القدماء الإصمات اسما لباقي الحروف المخالفة لحروف الذلاقة، وإنّما عَدُّها مصمتة لأنّها على رأي **شهاب القسطلاني** (923هـ) في كتابه **لطائف الإشارات:** «أصمتت أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها لإعتياصها على اللسان فهي حروف لا تنفرد بنَفَسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة». وهذا ما رمى إليه **ابن جنّي** في قوله: «أي صُمت عنها أن تُبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معرّة من حروف الذلاقة»، مضيفا: «وأعلم أنّ هذه

---

[1] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص93.

[2]) يحي بن علي بن يحي المباركي: **المدخل إلى علم الصوتيات العربي**، دط، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، 1427هـ، ص163.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص64.

الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجهما قُبح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق، ألا ترى إلى قلّتها بحيث يكثر غيرها، وذلك نحو الضغينة والمهة... في قول **امرىء القيس:**

وقد رابني قولها يا هنا ه ويحك ألحقت شرا بشرا».

4) الذلاقة: * لغة: الذلق هو الغلق.

* **اصطلاحا:** «من الغلق وهي الطرق وسميّت بذلك لسرعة النّطق بها وخفّتها»،ومصطلح الذلاقة ذكره **ابن جنّي** في قوله: «ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام، الراء، النون، الباء والميم؛ لأنّه يعتمد عليها اللسان وهو صدره وطرفه».

فالذلاقة تلحق بعض الأصوات وهي تعني الخفة والسلاسة على اللسان، وسميت هذه الأصوات بالذلاقة؛ لأنّها تخرج من ذلق اللسان، وقد قال عنها **الخليل ابن أحمد الفراهيدي:** «أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات هي: الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم فإن وردت في كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب».[3]

وما يميّز هذه الحروف سهولة جريانها، أمّا عن جمعها فقد جمعها **الرضي الإستربادي** في قوله: (مر بنفل). «وهذا التقسيم (الذلاقة والإصمات) تفرّد به العلماء العرب ولا يعرفه المحدثون، أمّا الذلاقة في الأصوات فاسم يندرج تحته نوعان من الأصوات: الأول: شفوي مخرجه الشفة لأصوات: الفاء، الميم والباء، والآخر: ذلقي (وذلق اللسان طرفه المستدق) ويشمل أصوات الراء والنون واللام».

ومع إيماننا بصدق قول ابتداع كلمة لخلوها من حروف الذلاقة في مثل: صنفتج وعقجش، فلا يصدق القول في العسجد وأمثالها؛ لأنّ «السين ليّنة جرسها من جوهر الغنّة»، أو قول **ابن جنّي** الذي ذهب إلى أنّ «نصاعة العين (فيها) ولذاذة مستمعها كان كافيا لقبولها مع أنّها تخلو من أحد أصوات الذلاقة».

2/ الصفات الخاصّة (الأحاديّة /غير المتضادة):

---

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **معجم العين**، ج1، ص58.

وهي الصفات التي ليس لها مقابل، أو التي لا ضد لها، وعددها غير محدّد لا نهائي، ويمثل عنصر التفاضل والتمايز بين أصوات اللغة العربية، ومن أهم هذه الصّفات:

1) القلقلة: * **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: «قلقل الشيء قلقلة وقلقالا وقَلقالا فتقلقل... أي حرّكه فتحرّك واضطرب، فإذا كسرته فهو مصدر، وإذا فتحته فهو اسم... والقلقلة شدّة الصياح».[1]

* **اصطلاحا:** والقلقلة من مصطلحات **سيبويه**، وقد ذكره في كتابه قائلا: «وأعلم أنّ من الحروف حروفا مُشْرِبَة، ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونَبَا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة...، وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء».[2]

ويطلق على القلقلة أيضا **اللقلقة**، إلا أنّ الأول أكثر استعمالا وشيوعا.

والقلقلة هي نطق الأصوات الشديدة المجهورة في الحال السكون، بما يشبه النّبرة، والذي يشبه النّبر هو مرحلة بين السّكون والحركة؛ أي نطق لا سكون ولا محرّك كأبْتر وتُبْ، فالباء في هذين المثالين تنطق لا ساكنة بحتة ولا محركة، وهذه هي التي تسمى **بالقلق الصوتي** والقلقلة لا تكون إلا في الأصوات الشديدة والمجهورة في حالة السكون، وأضاف **المبرد** حرف الكاف، وهو صوت مهموس، وقد قال **المبرد** في أصل تسميّتها بالقلقلة: «وسميت هذه بالقلقلة لأنّها إذا سُكّنت ضُعّفت فاشتبهت بغيرها ويحتاج إلى ظهور صوت يشبه النّبر، حال سكونهما في الوقف وغيره وإلى تمام النّطق بهنّ».[1]

وأصوات القلقلة –كما قال العرب– جمعت في قولك: «قطب جد»، فهي خمسة ومنهم من يضيف الهمزة؛ لأنّها جمعت بين الشدة والجهر كما أضاف **سيبويه** حرف التاء، وهو خلاف رأي الجمهور؛ لأنّ التاء مهموسة.

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، مادة "قلقل"، ص163.

[2] سيبويه: **الكتاب**، ص174.

[1] عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي عند العرب**، دط، 1428، ص 38.

أمّا **ابن جنّي** فقد عرّفها بقوله: «القلقلة حروف لا يستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك للشدة والحفز والضغط»،[2] ويعرّفها الدكتور **أحمد زرقة** فيقول: «والصوت المقلقل في العربية هو صامت يخشى خفاؤه عند النّطق به ساكنا أي خاليا من علامة الإعراب أو مجاورا لصامت آخر فيزداد توضيحه بفتح وإغلاق مخرجه، والقلقلة عبارة عن تقلل المخرج عند خروجه ساكنا حتى يُسمع له نبرة قوية».[3]

2) الصفير: لغة: جاء في اللسان الابن منظور: «الصفير من الصوت الدواب إذا سُقِيَتْ، صَفَّر يُصَفِرُ تَصْفِيرًا وصفر بالحمار وصَفَّرَ دعاه إلى الماء والصَّافِرُ كل ما لا يصيد من الطير ... وصَفَّراهُ الطائر يُصَفِرُ صَفِيرًا، أي مَكَا، ومنه قولهم في المثل أجبن من صَافِرٍ، وأصفرٌ من بلبل، وقولهم في الدار صافرٌ أي أحدٌ يُصَفِرُ».[1]

إصطلاحا: وهو صوت يسمع عند النطق بأصوات الصاد والسين والزاي؛ حيث يضيق مجرى الهواء عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيرا عاليا؛ حيث: «تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدا كما أن السين العربية عالية الصفير إذا قيست بها بعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية مثلا»؛[2] حيث أن العربي لا يراها غريبة على سمعه؛ «لأن الأغلبية مما ينطقون بالسين من أول اللسان (مشتركا معه طرف اللسان في بعض الأحيان) حيث يكاد يلتقي بأصول الثنايا العليا».[3]

والصفير من مصطلحات **سيبويه** ذكره حين تحدث عن إدغام أصوات الصفير قائلا: «وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن لأنهن حروف الصفير».[4]

وقد أطلق عليها **ابن الجزري** تسمية أسلية؛ إذ قال: «وحروف الصفير ثلاثة الصاد والسين والزاي وهي الحروف الأسلية المتقدمة».[5]

---

[2] ابن جنّي: **سر صناعة الإعراب**، ص63.

[3] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص44.

[1] جمال الدين بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج7، (مادة صفر).

[2] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص68.

[3] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 68.

[4] سيبويه: **الكتاب**، ج4، ص 464.

كما نجد أيضا **ابن جني** في كتابه **سر صناعة الإعراب** ستعمل أيضا تسمية أسلية لأصوات الصفير، فقال في معرض حديثه عن تنافر الحروف في الإئتلاف وبخاصة عن عرضي القاف والصاد فقال: «ألا أن القاف من أصل اللسان والصاد من صدره وأسلته، ثم ذكر مصطلح الصفير بعد ذلك وقال وحروف الصفير وهي الصاد والسين والزاي لا يتركب بعضها مع بعض».[1]

أما عند المحدثين، فأحرف الصفير هي نفسها الحروف الأسلية المتمثلة في الصاد والسين والزاي كما ذكرها الأقدمون من علمائنا «وأقوى هذه الحروف صفيرا هي الصاد، لإستعلائها وتفخيمها وإطباقها ثم الزاي لجهرها ثم السين لهمسها».[2]

3/ اللين: لغة: جاء في **لسان العرب** لـ **ابن منظور**: «اللين: ضد الخشونة يقال في فعل الشيء اللين لأن الشيء يلين لينًا ولَيَانًا وتَلَيُنٌ وشيء لَيِّنٌ ولَيْنٌ مخفف منه والجمع ألييناءُ، وفي الحديث يتلون كتاب الله لينا»؛ أي سهلا على ألسنتهم.... واللياينة: نعمة العيش.[3]

اصطلاحا: «أصوات اللين vowels هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة أو تحتبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة فالصفة التي تختص بها الأصوات اللينة هي كيقية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من الحوائل والموانع».

وأصوات اللين هي الياء والواو والألف. ومصطلح اللين من مصطلحات الخليل وقد جاء في العين قوله: «في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة».[1]

---

(5) ابن الجزري: **النشر في القراءات**، ج1، ص203.

(1) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص 818.

(2) يحي بن علي يحي المباركي: **المدخل إلى علم الصوتيات العربية**، ص 163.

(3) جمال الدين بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج12، (مادة لين).

(1) ينظر: عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 161.

ونظرا لاتساع مخرج الألف أكثر من بقية الأصوات التي خصها **الخليل** بأنها هوائية أي تخرج مع الهواء لا تحتاج مخرجا، أو محبسا بينهما فهي بائنة مع الهواء بهذه الصفة، لكن تلميذه **سيبويه** لم يعد هذه الصفة للألف وإنما ميز بها الواو والياء المديتين ولم يذكر الألف، فقال: «ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأي، الواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت».[2]

وهذا الاختلاف بينهما ربما هو راجع إلى اختلاف فهمهما للمصطلح: «فحيث عدا الخليل اللين شدة اتساع المخرج عده سيبويه اتساع مخرج الصوت دون مخرج الألف لذلك أفرد الألف ملحقا بها الواو المدية والياء المدية».[3] لكن ما اتفق عليه أن صوت اللين صوت مد.

ولقد ذكر **ابن جني** في **سر صناعة الإعراب** الأصوات الثلاثة، وعدها كلها لينة ونقصد الواو والياء والألف حروف المد، فقال: «وللحروف قسمة أخرى إلى الصحة والاعتدال فجميع الحروف صحيحة إلا الألف والواو والياء التي هي حروف مد واستطالة».[4]

أما عند المحدثين فتعرف عندهم بحروف اللين والحركات – بالتسميتين بحيث يكون المخرج متسعا فيمر الهواء دون حوائل تعترضه، ونجد **إبراهيم أنيس** في كتابه اللغوية، يقول: « فالفتحة (مثلا وهي صوت لين قصير)».[5] ومن قوله نلاحظ أن مفهوم صوت اللين عندهم يمس جانب الحركات وحروف المد، وهي: الألف والواو والياء.

4/ الانحراف: لغة: جاء في **لسان العرب** لـ **ابن منظور**: «حَرَف عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفًا وانحرف وتَحَرَّفَ واحرورف: عدل... وقلم مُحَرَّف: عُدِل بأحد حرفيه عن الآخر وتحريف الكلام عن مواضعه، تغييره».[1]

---

[2] سيبويه: **كتاب سيبويه**، ج4، ص435.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 161.

[4] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ج1، ص62.

[5] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 28.

[1] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج3 (مادة، حَرَفَ).

اصطلاحا: جاء في تعريف **سيبويه** له قوله: «ومنها المنحرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت وهو صوت اللام».[2]

فالصوت المنحرف، هو صوت يتصل في إنتاجه طرف اللسان مع اللثة، فينحرف مرور الهواء فيخرج من جانبي اللسان بعد أن أطبق اللسان مع اللثة مانعا الهواء من المرور في خط مستقيم ما يجعله ينقسم ويخرج على جانبي اللسان، وهي صفة أحادية تنفرد بها اللام وحدها:« وتوصف اللام أيضا بأنها جانبية».[3]

وأضاف **المبرد** في هذه الصفة صوت العين، وكن لم يعني به ما يفهم من المصطلح، لكن أغلب العلماء خصوا الصفة باللام فقط متبعين في ذلك **سيبويه**، وهذا ما نجده عند **ابن جني** في كتابه **سر صناعة الإعراب**، الذي يذكر تحليل **سيبويه** نفسه لمعنى الانحراف موضحا أياه بقوله: «ومن الحروف حرف منحرف لأن اللسان ينحرف فيه مع بالصوت وتتجافى ناحيتا اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تلك الناحيتين وما فويقها وهو اللام».[4]

إلا أن معنى الانحراف اتسع عند مكي ليشمل صوت الراء أيضا، وهذا راجع إلى الاختلاف في تحديد صفة اللام بين **سيبويه** و**مكي** فـ**سيبويه** يُعَدُ اللام صوت شديد اكتسب صفة الرخاوة ومكي يراه صوتا رَخوًا اكتسب صفة الشدة «إلا أن مكي يصح معه أن ندخل جميع الأصوات بين الشديدة والرخوة فيه وهو غير صحيح».[1] كما الدكتور عبد الحق الصيغ.

فالانحراف من الصفات المفردة وهو صفة اللام وسمي منحرفا؛ لانحراف اللسان معه ذلك عليه جمهور العرب، وزاد الكوفيون الراء إليه، وهذا غير صحيح كما ذكرنا، «واللام في البحث الصوتي الحديث صوت لثوي يتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة

---

[2] سيبويه: **كتاب سيبويه**، ج4، ص435.

[3] عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ص274.

[4] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 63.

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 179.

وارتفاع الطبق الذي يؤدي إلى إغلاق المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق».[2] وسميت اللام منحرفة؛ لأنها عدلت عن مخرجها حتى اتصلت بمخرج غيرها.

5/ التكـرار: لغة: في **لسان العرب** لـ **ابن منظور**: «الكرُّ: الرُّجوع والكرُّ: مصدر كرَّ عليه يكرُّ كرًّا وكُرورًا وتكرارًا: عطف وكرَّ عنه: رجع وكرٌ على العدّو ويكُرُّه وكرَّر الشيء وكرره: أعاده مرّة بعد أخرى والكرَّة: مرَّة والجمع كرات»[3].

اصطلاحا: «التكرار صفة الراء (وذلك إذا وقفت عليه رأيت اللسان يتعثر بما فيه من تكرير)»[4] .ويراد بالتكرار ملاحظة الضربات المتلاحقة من طرف اللسان على اللثة تصحب نطق الراء.

ومصطلح التكرار من مصطلحات **سيبويه** ذكره في كتابه قائلا: «ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وإحرافه إلى اللام فتجافي للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء»[1]، فقد خصّ **سيبويه** الراء بهذه الصفة واستعمل العلماء القدامى هذا المصطلح من بعده دون تغير يذكر عدا إيضاحهم لمعنى التكرار، فقد وصفه **المبرد** بأنه: "الترجيع" واكتفى **ابن جني** بتفسيره قائلا: «ومنها المكرر وهو الراء وذلك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين»[2] واكتفى **ابن الجرزي** بذكر المصطلح والصوت فقط دون تفسير ولا إيضاح لما قاله سيبويه فقال: «والحرف المكرر هو الراء»[3].

أما المحدثون من علماء الأصوات، فلم يختلفوا مع القدماء في إسناد الصفة لحروف الراء وحده فهذا **منصور بن محمد الغامدي**، يقول: «وهي الأصوات التي يتكرر فيها اتصال عضو نطق بعضو نطق آخر أكثر من مرة فهي حالة نطق صوت /ر/... يتصل طرف اللسان باللثة لوقت قصير –عشرين ميليثانية تقريبا– مشكلا حركة شبيهة

---

[2] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص 60.

[3] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج12 (مادة، كرر).

[4] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص 60.

[1] سيبويه: **كتاب سيبويه**، ج4، ص435.

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص63.

[3] ابن الجرزي: **النشر في القراءات العشر**، ج1، ص 204.

بعملية الوقت المصاحبة لنطق /د/، ثم ينفصل إلى اللثة عائدا إلى وضعه الطبيعي، ثم يعود إلى الاتصال باللثة مرة أخرى، وهكذا».[4]

وكذلك نجد **عبد العزيز أحمد علام** يصف حرف الراء بالتكرار بتعبير أكثر دقة، فيقول: «صوت ينطق بمرور الهواء من الحنجرة فيهتز الوتران في الفم ينعقف طرف اللسان ويطرق اللثة عدة طرقات سريعة ربذلك فهو صوت (لثوي، تكراري أو ترددي، مهتز»[5]

6/ التفشي: لغة: جاء في **لسان العرب** لـ **ابن منظور**: «فَشَا خبره يفْشُوا فشْوًا وفُشِيًّا: انتشر وذاع وفشا الشيء يفشو فشوا إذا ظهر، وهو عام في كل شيء ومنه إفشاء السر»[1].

اصطلاحا: «التفشي هو انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين وسمي متفشّيًا لأنه تفشي في مخرجه حتى اتصل بمخرج غيره أو هو انتشار الهواء من جانب اللسان عند النطق بصوت الشين»[2] .

والتفشي أيضا من مصطلحات **سيبويه**، وذلك في قوله: «والراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة وهي تفشي إذا كان معها غيرها... والشين فيها استطالة لأن فيها تفشيا»[3] **فسيبويه** لم يقصر صفة التفشي على الشين فقط، بل ذكر أصواتا أخرى كالراء واللام والنون، لكنه ذكرها لأسباب عارضة كأن ذكر الراء لتفشيها، إذا كان معها غيرها وذكر الأصوات المطبقة لتفشيها في السمع، وذكر الأصوات الصفيرية وقال عنها: «أندى في السمع»، وأضاف المبرد إلى الشين في تفشيها الضاد: «بل إن علماء التجويد يضيفون أيضا الميم والفاء والراء، مما يدل على أن صفة التفشي لم تكن صفة محددة عندهم»[4]، ولعل هذا ما يبرر إغفال **ابن جني** عن ذكرها بسبب عدم شيوعها صفة

---

[4] منصور بن محمد الغامدي: **الصوتيات العربية**، ص 70.

[5] محمد علام عبد العزيز: **علم الصوتيات**، ص 274.

[1] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج12، (مادة، فشا).

[2] أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ص 95.

[3] سيبويه: **كتاب سيبويه**، ج4، ص 448.

[4] عبد العزيز الصيع: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 181.

متعارفا عليها، ويعرفها **ابن مكي** فيقول: «هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك»، وذهب ابن الجرزي إلى أن «حروف التفشي هي الشين اتفاقا»،[5] فالتفشي صفة مفردة لصور الراء عند أغلب العلماء القدامى.

وهي أيضا كذلك عند المحدثين؛ إذ يعتبرون «التفشي صفة خاصة بصوت الشين ومجهورها الذي يظهر فيه انتشار اللسان عللا الحنك فيكون في وسطه شيء كالقناة يتسرب النفس منها، ولا يقتصر تسربه على المخرج بل يتوزع في جنبات الفم، وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة تسميته بـ husing sounds».[1]

7/ الاستطالة: «الاستطالة هي صفة الضاد، وسموه بذلك لامتداده من أول حافة اللسان حتى اتصل بمخرج اللام لما فيه من القوة والجهر والإطباق والاستعلاء حتى استطال مخرجه»[2].

فالاستطالة صفة الضاد، وهذا ما ذهب إليه **ابن الجرزي** في قوله: «والحروف المستطيلة هي الضاد لأنه استطال عن الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء».[3]

وقد تعمدت أن أنقل تعريفين للاستطالة من عصرين مختلفين، ومن عالمين مختلفين في العصور؛ لأبين للقارئ مدى الرضا الذي تلقاه المحدثون عند القدماء في هذه الصفة، فنجد **خليل إبراهيم عطية** قد أعاد تعريف **ابن الجرزي** حرفيا.

وبعد فقد ألممنا ببعض صفات الأصوات العربية العام منها والخاص، ولقد تبين لنا من خلال ما أوردناه وفرة ما قدمه البحث الصوتي عند العرب القدامى، وأن ما قدموه لا يختلف كثيرا عما عرفه البحث الصوتي الحديث مع التطور الذي وصل إليه في التجهيزات والمخابر العلمية، كما نبين أن بعض الصفات لم نذكرها خاصة تلك الصفات المفردة، وذلك راجع غلى تمسكنا أو بالأحرى تقيدنا بخطة البحث وحجمه.

---

[5] ابن الجرزي: **النثر في القراءات العشر**، ج1، ص 205.

[1] خليل إبراهيم عطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، ص 56.

[2] المصدر نفسه: ص 61.

[3] ابن الجرزي: **النثر في القراءات العشر**، ج1، ص 205.

ثم يضيف **سيبويه** إلى ذلك ستة حروف أصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة (يقصد كثرة ورودها في الكلام frequency) يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي:

1/ النون الحَفيَّة: وصفة الحفيّة وصفها بها سيبويه في كتابه **الكتاب**، وهو أول من ذكر اللفظ والمعروف أن النون الخفية غير النون الخفيفة، فالخفية هي نون الإخفاء قبل حروف الفم، وهي: التاء والثاء والجيم والدال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف، وأما الخفيفة فهي إحدى نوني التوكيد، ولها أحكام في الوقت تفردها بطابع خاص حيث تصير في الوقف ألفا نحو قفا: قفنْ وهي ما سماها **ابن جني** النون الساكنة فقال: «ويذلك على النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم أنك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة»،[1] وما قصد بها **ابن جني** الغنة التي من الأنف، وهي غير النون المتحركة عنده.

2/ الهمزة الخفيفة: (الهمزة التي بين بين) وهي الهمزة المتحركة التي بعد ألف، أو بعد حركة فتصير في النطق مجرد خفقة صدرية لا يصاحبها إقفال للأوتار الصوتية نحو: «أأنت قلت للناس..»، فإذا كانت الهمزة مفتوحة مكسورا ما قبلها قُبلت ياء أو مضموما ما قبلها قُبلت واو.[2] وقد تحدث عنها **ابن جني** مسميها بالتسميتين فقال: «وأما الهمزة المخففة التي تسمى الهمزة بين بين»،[3] مبينا سبب تسمية **سيبويه** لها بهمزة بين بين فقال: «ومعنى قول سيبويه بين بين أي هي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي الهمزة والألف، وإذا كانت مكسورة فهي الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو»،[4] وهذه الهمزة ليست في مكانة الهمزة المخفف ولا تقع الهمزة المخففة أولا أبدا لقربها بالضعف من الساكن، ثم يضيف **ابن جني:**

---

(1) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص48.

(2) تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1994، ص 53.

(3) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص47.

(4) المرجع نفسه: ص 47.

«ومعنى قول سيبويه "بين بين" أي هي ضعيفة ليس لها/ تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذي منه حركتها».[1]

3/ الألف الممالة إمالة شديدة: والمقصود بها الألف الجانحة –المائلة– نحو الياء وهي التي يقرأ بها القراء مثلا قوله تعال: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾، فيجعلون صوت الألف الأخيرة في الضحى، وسجى كصوت الياء في نطق العامة في مصر لكلمة "بيت".[2]

أما **ابن جني** فقد تحدث عنها ولم يطل بل اقتصر على ذكرها، وأعطى مثالا عنها فقال: «وأما ألف الإمالة التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في عالم في عالم وخاتم عالم وخاتم».[3]

4/ ألف التفخيم بلغة أهل الحجاز: كما ذكرنا فقد ربطت ألف التفخيم دائما لغة أهل الحجاز استغنى بعض العلماء عن ذكرها، وأبدلوا مصطلح التفخيم بأهل الحجاز في مواضع عدة، فقال **سيبويه:** «وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف»، وأورد **الزمخشري** قوله: «وبنو تميم يميلون وأما أهل الحجاز فلغتهم التفخيم».[4]

وألف التفخيم ألف تستدير في نطقها الشفتان قليلا مع اتساع الفم نتيجة حركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلا، فيصير الفم في مجموعة حجرة رنين صالحة؛ لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز.[4]

أما **ابن جني** فجعل صفتها بين الألف والواو، وعلل وجوه كتابتها تارة واوًا، وتارة ياءًا في كتابات القرآن الكريم، فقال: «نحو قولهم سلام عليك وقام زيد وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا إحديهما وسوّيهما بالياء لمكات إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة».[1]

---

(1) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 47.

(2) تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 53.

(3) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص50.

(4) ينظر: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 150.

(5) تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 53.

(1) ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص50.

5/ الشين التي كالجيم: وهي الشين المجهورة التي تشبه صوت الجيم في اللهجة السورية اللبنانية، فكان الناطقون بهذه الشن من العرب يجعلون كلمة أشدقّ كأنها أجدقّ، ومثل: هذا ما نسمعه في لهجة القاهريين في كلمات مثل الأشغال والأشجار...

وقد ذكرها **ابن جني** فقال: «وأما الشين التي كالجيم فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم».[2]

5/ الصاد النّي كالزاي: وهي صاد مجهورة مفخمة تشبه نطق العامة في مصر للظاء في كلمة ظالم مثلا، والقاهريون ينطقون هذه الصاد المجهورة في كلمة مصدر، كما كان العرب ينطقونها قديما، ولكن العرب كانوا ينطقونها من أجل الصاد في مثل الصقر والصراط كذلك.[3]

أما **ابن جني** فقد تحدث عنها منتبها في تميزها إلى صفة إلى صفة يمكن أن تقرب المعنى للمتلقي، وهي صفة الهمس في السين، فقال: «فأما الصاد التي كالزاي في التي يقل همسها قليلا»، كأنما أراد أن حرف الصاد يفقد جهره، ويقترب من السين في همسها فيحدث فيها ضرب من الهمس، ويحدث للسين اقتراب من الصاد لمضارعتها الزاي في الجهر فقال: «ومن العرب –يقصد الصاد– من يخلصها زايا فيقول: يزدر، وقزد».

ويذكر **سيبويه** أصواتا ثمانية أخرى ولكنه يستقبحها في قراءة القرآن، والأشعار وتبعه في ذلك **ابن جني** مع أنهما لم يذكرا ما إذا كانت هذه الأصوات لحنا، مما أصاب ألسنة العرب بسبب مخالطتهم الموالي، وأنها وردت على ألسنة الموالي فقط، قال ابن جني: «فأما الثمانية اللاحقة بهذه فهي مستقبحة».[1]

وهذه الحروف هي:

1. الكاف التي بين الجيم والكاف ⇦ شبيه بنطق أهل العراق لـ: كيف
2. الجيم التي كالكاف ⇦ شبيهة بما في لفظ رجل – ركل.

---

[2] المرجع نفسه: ص50.

[3] تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 54.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 51.

3. الجيم التي كالشين ⇦ في مثل قولنا اشتمعو – اشتر.
4. الضاد الضعيفة ⇦ ويقترب في السمع بالثاء في مثل قولنا أثر – أضر.
5. الصاد التي كالسين ⇦ في مثل قولنا سابر – صابر بترقيق السين.
6. الطاء التي كالتاء ⇦ في مثل قولنا طال – تال – اصطبر.
7. الطاء التي كالثاء ⇦ في قولنا ظالم – ثالم، فقدت الضاء جهرها وهمست همس الثاء.
8. الباء التي كالفاء ⇦ أو ما تسمى بالباء الفارسية في مثل برزده.

6. الاختلاف بين القدماء والمحدثين في صفات الأصوات:

بعد فراغنا من معالجة البحث الصوتي عند العرب القدامى منهم، والمحدثين فيما يتعلق بصفات الأصوات نرغب في ذكر ما خلصنا إليه أو ما كدنا نخلص إليه من نقاط اختلاف وتوافق بينها واليك بعض النقاط التي توصلنا إليها:

إن الدراسات الحديثة في علم الأصوات تقفل المصطلحات الصوتية عند العرب وتستعمل مصطلحات مترجمة من اللغات الأخرى ولذلك تعددت المصطلحات بتعدد المترجمين مثل مصطلح **الشدة**، وهو مصطلح قديم استعمله **سيبويه** لا يستعمله المحدثون وإنما يستعملون مصطلح «انفجاري، انسدادي .....الخ».[1]

إن مفهوم الجهر والهمس عند القدماء يختلف عن مفهوم المحدثين وليس اتفاقا، الأصوات المجهورة والمهموسة لدى القدماء والمحدثين في أكثرها إلا دليلا على حسة تذوق القدماء للأصوات وصواب طرقهم في الوصول إلى الحقائق الصوتية الدقيقة.

صوت الضاد: هناك اختلاف كبير بينهما في وصف هذا الصوت، سببه التطور النطقي له على لسان العرب المعاصرين ولا وجه للمقارنة بينهما.

أصوات القاف والطاء والهمزة: فقد وصفهن القدماء بالجهر أما النطق المعاصر التي تمتاز به هذه الأصوات هو الهمس أمام هذا الاختلاف احتمالان:

أ/ خطأ القدماء في الوصف وهو أمر بعيد الاحتمال، للدقة والملاحظة الذكية التي امتاز بها علماء العربية.

---

[1] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص286.

ب/ تطور نطق هذه الأصوات في الفصحى المعاصرة وهو أمر كبير الاحتمال.

صوت الجيم: وصفه القدماء بالشدة أما المحدثون فنعتوه بالمزدوج أو المتوسط بين الشدة والرخاوة وهذه الدقة في الوصف جاءت نتيجة تطور الوسائل التي تعين دراسي الأصوات على الوصول إلى نتائج أفضل في البحث والتشخيص.

صوت العين: وصفه القدماء بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة أما عند المحدثين فهو صوت رخو أي فيه شيء من الاحتكاك والرخاوة فالخلاف دقيق جدا يعود إلى صعوبة تشخيص هذا الاحتكاك وقد اعترف أحد المحدثين بأن العين أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكا، أي أن فيه احتكاك لم يكشف إلا بالوسائل الحديثة في دراسة الأصوات وهو أمر شق على علمائنا الذين اعتمدوا على الملاحظة والتذوق الشخصي.

الفصل الثّالث

الصّوائت بين ابن جنّي والمحدثين

تمهيد:

اجتاز الرسم العربي للحروف خمس مراحل كما يذكر العلماء، «وأقدم رسم وصلت إلينا اللغة العربية مدونة به كان مشتقا من خط المسند كما تدل على ذلك الآثار العربية البائدة... ويرجح الباحثون أن القبائل التي نزحت من اليمن إلى هذه المناطق الشمالية (الحجاز) وتكوينها بها جاليات كبيرة هي التي حملت إليها هذا النوع من الرسم»[1].

لقد وصل هذا الرسم إلينا في ثلاثة أنواع أحدها ممثل في النقوش اللحيانية، وثانيها في النقوش الثمودية وثالثها في النقوش الصفوية، فأما الأول فلا يكاد يختلف عما اشتق عنه ويسير مستعرضا من اليمين إلى الشمال، وأما الثاني (الثمودي) فهو أقل رونقا من اللحياني ويسير من الأعلى إلى الأسفل، وأما الثالث فيشبه كثيرا الخط اللحياني غير أنه مختلف الاتجاهات فيُقرأ من اليمين إلى الشمال، وتارة يقرأ من الشمال إلى اليمين.

في جميع هذه الأنواع كانت حروف الهجاء تكتب متفرقة، وكانت لا ترمز إلاّ للأصوات الساكنة في الكلمة أما أصوات المد سواء في ذلك الطويل منها أو القصير، فقد أغفلتها الكتابة العربية القديمة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت مجردة من النقط والإعجام.

ثم اتخذت الكتابة العربية الرسم النبطي، وهو نوع من أنواع الرسم الآرامي، فقضى بنفوذه على الخط اللحياني شيئا فشيئا، حتى بلغ الرسم النبطي مرتبة عالية، فكان يمثل حضارة من أرض الحضارات السامية وهي حضارة الآرمميين.

ثم ظهر نوع ثالث من الرسوم مشتق من الرسم النبطي، ويمثل الخط العربي الذي نعرفه الآن في أقدم أدواره وصوره، وتقترب صورة رسم الحروف فيه إلى صورتها في الحاضر؛ إذ إنّ عربي الآن لو عرض عليه ذاك الرسم لم يجد صعوبة كبيرة في قراءته.

ويتفق هذا الرسم مع سابقيه في كونه يشير فقط إلى الأصوات الساكنة دون إعجام، ثم تأثر الرسم العربي بالرسم السرياني ودخلت فيه إصلاحات كثيرة منذ القرن السابع ميلادي، ودخل فيه نظام الإعجام (النقط) إلى أصوات لا نظير لها في اللغات السامية الشمالية، التي نشا فيها الخط السامي القديم للتمييز بين الحروف المتحدة للصورة والمختلفة النطق مثل: (ب، ت، ن، ح، خ، ج، ز، ر)، ولكنه ظل طوال هذه المرحلة

---

[1] علي عبد الواحد وافي: **فقه اللغة**، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 190.

مقتصرا على الرمز إلى الأصوات الساكنة ومجردا من علامة التمييز بين الحرف المشدد والمخفف.

ثم، وأخير أدخل في الرسم العربي نظام الرمز إلى أصوات المدّ الطويلة، واستخدام في ذلك ثلاث أحرف وضعت في الأصل للرمز إلى ثلاثة أصوات وسط بين أصوات المد والأصوات الساكنة، وهي: الهمزة، الواو، الياء فأصبحت هذه الحروف مزدوجة الاستعمال، ترمز أحيانا إلى ما وضعت في الأصل للرمز إليه، أي تعتبر أحيانا أصولا في الكلمة وحرفا ساكنا من حروف الهجاء العربية، في مثل: (أكتب، يكتب، وعد)، وأحيانا ترمز إلى أصوات المد الطويلة في مثل كاتب، دليل، ملوك.

وأدخل فيه أيضا نظام الحركات، وهي علامات تشير إلى تشديد الحرف وإلى تحركه بصوت المد القصير أو خلوه من الحركة، وقد رمز للحركات في بادئ الأمر بالنقاط من طرف **أبو الأسود الدؤلي** حين قال لتلميذه: «إذا رأيتني فتحت فمي بالصوت فاجعل نقطة فوق الحرف...» ثم أخذت هذه الحركات صورة جديدة شاعت وصار العمل عليها إلى وقتنا الحاضر، وهي رسم حروف أو أنصاف حروف فوق الحروف المراد تحريكها أو تغيير حركتها (فالفتحة أ ترسم مستعرضة فوق الحرف والكسرة ياء راجعة ترسم تحته والضمة واو ترسم فوقه)، ويرسم فوق الحرف برسم يرمز غلى أن هذا الصوت هو صورتين متحدتين أولهما ساكن وهو ما يعرف "بالشدة" (ّ).

هذا تقديم وتمهيد عرضنا فيه بداية نشأة الصوائت في الرسم العربي، ولقد ركزنا على الرسم؛ لأننا رأينا فيما سبق أن شكل الكتابة قد جعل بعض العلماء يخطئ في ترتيب الحروف صوتيا عدّ العين أسبق من الهمزة بعد أن اعترف أن الهمزة هي أقصى الحروف الحلقية، وإنما كره الابتداء بها لعدم ثبوتها على صورة في الكتابة.

1. عدد الصوائت الأساسية: «يرتبط نوع الصوت اللغوي بالهيئة التي يتخذها الفم والحنجرة عند تكون ذلك الصوت؛ إذ إن الحنجرة والفم يتخذان هيئة تجويف أنبوبي يبدأ من الحنجرة حيث الوتران الصوتيان وينتهي بالشفتان، ويكون حجرة رنين chember risonance ويمكن أن نطلق على هذا التجويف تجاوزا مصطلح "جهاز النطق"»[1]

[1] غالب فاضل المطلبي: **في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية**، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984، ص 23.

ويحدث الصوت اللغوي حين يندفع الهواء من الرئتين ويدخل الحنجرة حيث الوتران الصوتيان فإذا صادفهما الصوت مشدودان هزّهما، وإذا صادفهما وقد ارتخيا مرّ من دون أن يهزّهما، ولكن على أيّة حال يمر من الحنجرة ليسلك في الفم وهناك يتحدد نوع الصوت اللغوي بعد أن كان مادة خام تتمثل في النفس عند الزفر بالهواء من الرئتين أثناء التنفس، وهناك تتحدد معظم صفاته استنادا إلى طريقة مرور الهواء في تجويف الفم فقد يصادف الهواء عائقا في مدرج من مدارج الحروف، فيمنعه من المرور حرا إلى الفم، فلا يتيسر له ذلك إلى بالاحتكاك بأحد الأعضاء الموجودة داخل التجويف الفمي فتنشأ جراء ذلك طائفة من الأصوات أطلق عليها العلماء اسم الصوامت.

أو أن الهواء يخرج خروجا حرا سلسًا من غير أن يتعرض طريقه عائق، وهو يخرج من الحنجرة إلى الفم فتنشأ جراء ذلك طائفة من الأصوات أطلق عليها العلماء اسم الصوائت، وهذه الطائفة من الأصوات هي موضوع البحث في هذا العنصر الذي نحن بصدد كتابته.

لقد اتخذت فكرة مرور الهواء مرورا حرا أثناء النطق من غير أن يكون ثمة احتكاك، أو إعاقة له أساسا للتعريفات التي وضعها علماء اللغة الأقدمون والمحدثون لأصوات المد، فعُدّ خلو هذه الأصوات من الاحتكاك عنصرا جوهريا فيها، وأساسا لتميزها من الصوامت؛ لأن الاحتكاك قد يضعف الحرف بينما انعدامه قد يكسب الصوت طاقة أعلى بكثير مما تحمله الأصوات المحتكة (الصامتة)، ولهذا تكون أصوات المدّ أكثر الأصوات في الوضوح السمعي.وعلى هذا الأساس قسم العلماء العرب الحروف العربية إلى قسمين هما:

- الحروف الصحيحة وهي كل الحروف ما عدا الألف والواو والياء.
- الحروف المعتلة وهي الألف والواو والياء.

كما فرقوا بين حالتي حروف العلة التي يمكن أن تتظاهر بشكلين هما:

- حروف مد: وهي (الألف والواو والياء)، إذا سكنة وجانستها حركة ما قبلها في مثل: قال، يقول، يبيع، والألف لا تكون إلا كذلك أصلا.

– حرف لين: وهما (الواو والياء) إذا سكنتا بعد غير ما يجانسهما مثل: قولٌ وبيعٌ أو كانتا متحركتين مثل: وَعَدَ أو يَبِسَ.[1] وتسمى الحروف الصحيحة بالصوامت وتسمى حروف المدّ ومعها الحركات الثلاثة (الفتحة، الضمة، الكسرة) بالأصوات الصائتة ويسمى حرْفَا اللين يشبه الصائت، وسنورد مخططا يشرح ما قلناه وهو كالآتي:

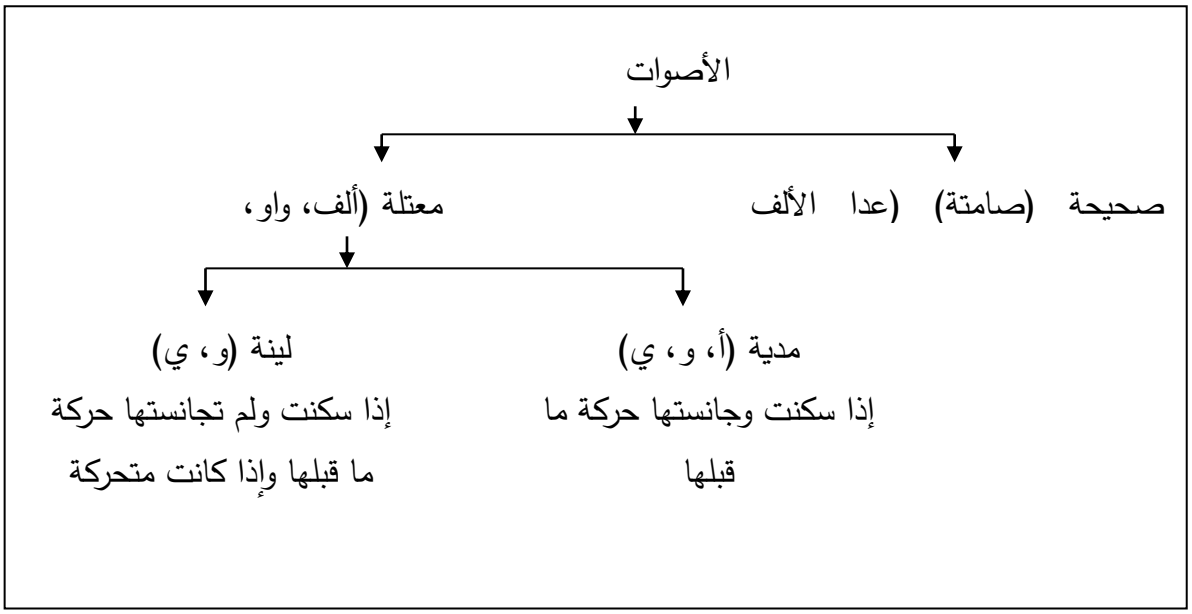

والضمة بعض الواو، بل إن متقدمي النحويين كما ذكر ابن جني كانوا يسمون الفتحة اللف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، ويرى ابن جني أنهم كانوا على صواب لأنك تجد في هذه الحروف طولا وامتدادا «ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توأمٌ كواملٌ قد تجدهن في بعض الأحول أطول ولأتم منهم في بعض وذلك قولك يخاف وينام».[1]

ولهذا كان القياس يقتضي أن يسمين حروفا (حروف المدّ)، إذا جاء الصوت ببعضهن، فتسمية الحركات إذن، وهي: أبعاض حروف المدّ حروفًا صغارًا ليس بعيدا في القياس، كما يرى بعض المحدثين، وقد استدلوا لهذه الأصوات بأنها أبعاض حروف المدّ واللين بما استدل على ذلك **ابن جني** في كتابه **سر صناعة الإعراب**، وهو إشباع الحركة، ومجيء حرف المعجم غير المدّات بعدها، وإجرائها مجرى الحرف وإجراء الحرف مجراها،

---

[1] عبد الرحمان إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، ص 7.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص17.

يقول **ابن جني:** «ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحة عين "عَمَرَ" فإنك إن أشبعتها حدثت بعد ذلك ألف فقلت عَامَرَ... فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها».[2]

هذا ما يتعلق بالتسمية عند القدماء، أما عند المحدثين فتسمى حروف المدّ الثلاثة (الألف والواو والياء)، والحركات الثلاثة (الأصوات الصائتة) المشكلة للطائفة الثانية من الحروف العربية كما ذكرنا سابقا.

والصائت هو: «هو الذي ينطلق معه الهواء انطلاقا تاما بحيث لا يعوقه عائقا في أي منطقة من مناطق النطق»،[3] وقد سمى **الخليل** الصوائت بحروف الجوف مبينا طريقة خروجها في مقدمة **كتاب العين؛** إذ قال: «وأربعة أحرف جوف وهي الواو وياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرج من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيزا تنسب إليه إلا الجوف».[1]

يتضح من التعريف الذي قدمناه للصوائت أن الصفة الأساسية المميزة للصوائت تقوم على شكل ممر الهواء المفتوح فيما فوق الحنجرة، فالأشكال التي يتخذها هذا الممر تغير طبيعة الصوت على أشكال مختلفة أو كما قال ابن جني الصوت يقلق فينجذب إلى مخرج آخر. «وللسان والشفتان دور أساسي في تغير شكل الممر الهوائي في حالة الصوائت ويستطيع المبتدئ أن يلاحظ وضع اللسان في نطق الصوائت المختلفة وذلك بأن ينظر إلى مرآة وهو فاتح فاه إلى أقصى ما يستطيع ثم يأخذ في نطق صوائت مثل الألف في قال، ثم ياء بيع، ثم كسرة مِنْ... وسيجد أنه في نطق ألف "قال"... يكون الجزء الخلفي من اللسان هو صاحب الشأن الأكبر في تشكيل الممر الهوائي... أما في نطق ياء بيع فإن الجزء الأساسي من اللسان يرتفع».[2]

---

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 18.

[3] عبد الرحمان إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، ص 7.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 57.

[2] محمود الشعران: **علم اللغة**، ص183.

زمنه فالصوائت تصنف إلى أمامية وخلفية ووسطى، وذلك حسب الوضع الذي يتخذه اللسان أثناء نطق حرف من هذه الحروف.

كما أن للشفتان دور أيضا في تشكيل هذه الصوائت فالشفتان قد تنظم أو تكسران أو تتخذان وضعا محايدا (تنفتحان) فتضمان في نطق الواو أو بعضها الذي هو الضمة وتكسران في نطق الياء وبعضها الذي هو الكسرة وتنفتحان في نطق الألف أو بعضها الذي هو الفتحة.

فللسان والشفتان دور في إنتاج الصوائت «فقد عد المحدثون أن مخرج هذه الأصوات الجوف مع تدخل اللسان والشفتان في إنتاجها».[3]

وهكذا صار بإمكاننا تحديد منع صوت المدّ من خلال تحديد مكان تحدّب اللسان أو وضع الشفتان، وكان أول من عُني بشكل تحدّب اللسان ودور التحدّب في تشكل صورة المدّ دانيال جونز «الذي حاول أن يحدد أعلى نقاط يمكن ان يصل إليها ارتفاع اللسان إلى منتصف الفم من غير أن يؤدي ذلك غلى حدوث احتكاك مسموع ثم أسفل نقاط يمكن أن يصل إليها أيضا في قاع الفم، فوُجد أنه يمكن تحديد نقطتين على الجزء الأمامي من اللسان تكون الأولى أعلى نقطة يمكن الوصول إليها من غير حدوث ذلك الاحتكاك أطلق عليها مصطلح "الضيقة" closed وتكون الثانية أسفل نقطة يمكن الوصول إليها أطلق عليها مصطلح "الواسعة" opend».[1]

ثم وُضع بين الحدين نقطتين متساويتين سمى الأولى نصف ضيقة، والثانية نصف واسعة، أما عن وضع الشفتين فيعتبر معيارا آخر لتحديد نوع المدّ؛ إذ إن الشفتين تتخذان أوضاعا معينة في أثناء أداء كل صوت من أصوات المدّ، ومن الممكن أن نحدد هذه الأوضاع كما يلي:

1. **وضع الأستدارة:** تكون فيه زاويتا الشفتين متقدمتين إلى الأمام في أثناء نطق الضمة.

2. **وضع الانفراج:** عندما تكون زاويتا الشفتين مسحوبتين إلى الوراء غالبا ما تتخذ الشفتان هذا الوضع في أثناء نطق الكسرة.

---

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات اللغوية**، ص210.

[1] غالب فاضل المطلبي: **كتاب في الأصوات اللغوية**، ص 29.

3. **وضع الاستواء:** عندما تتخذ الشفتان وصفا محايدا وغالبا ما يتم ذلك في نطق الفتحات.

وأحسب أن أول من اكتشف دور الشفتين في تحديد نوع صوت المدّ **أبو الأسود الدّؤلي**، حين نهض بمهمة نطق وإعجام المصحف الشريف؛ حيث تخير كاتبا لقنا، وقال له: «إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوق الحرف على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل نقطة من تحت الحرف».

«ويصف الدكتور عبد الغفار حامد هلال هذا العمل من **أبي الأسود الدّؤلي**؛ لأنه دليل على إرهاف الحس وسلامة الطبع؛ حيث إنه حدد الشكل العام لمخارج تلك الأصوات، وفتح الطريق، أما المحدثين ليحددوا مخارجها من ارتفاع أو انخفاض في مقدم اللسان، أو مؤخره وتصنيفها بحسب الضيق والاتساع وكونها أمامية أو خلفية»[2] .

إن الصوائت في العربية هي ستة أصوات يتشابه كل اثنين منهما تشابها كبيرا بحيث لو مطلنا الصوت بإحداهما لكان الآخر، ولو قصرنا بالآخر لكان الأول، وهي: الفتحة والألف والكسرة والياء والضمة والواو، وقد أطلق على الأول حركات وعلى الثاني حروف، فحروف اللين التي هي: الألف والواو والياء مضارعة للحركات، لذلك قلت الحركات في حروف اللين لمضارعة هذه الحروف للحركات فكرهوا اجتماع المتشابهات والعرب تكره اجتماع الأمثال فهم كرهوا أن تجتمع مثلا الفتحة بالألف لأنهما كما ذكر ابن جني أبعاض بعض.

لقد أطلق المحدثون على الحركات اسم "المصوّت القصير"، أو الحركة القصيرة وأطلقوا على حروف المدّ المصوت الطويل أو الحركة الطويلة.

«بعض العلماء المحدثين يرفضون استعمال مصطلح الحركة بحجة أن المصطلح لم يستعمل في الدراسات اللغوية العربية القديمة».[1]

---

[2] علي عبد الله علي القرني: **أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004، ص

[1] سمير الشريف استيتية: **الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفزيائية**، ط1، دار وائل للنشر، 2002، ص 203.

كما أنهم احتجوا بأن العلماء العرب القدامى عندما استعملوه لم يضعوه إلا ليدل على الحركات القصيرة فقط، فهو مصطلح لا يشمل الحركات الطويلة التي هي حروف المدّ كما كانت تسمى في الدراسات العربية القديمة.

ولماذا نجد حرجا في تسمية حروف المد بالحركات و**ابن جني** يقول: «... الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة»، كما قال في موضع آخر: «واعلم أن الحركات أبعاض حروف المد».

والملاحظ لتسمية الصوائت بأصوات المد في الدراسات العربية القديمة إنما يكتشف أنهم سموها بذلك، لاستمرار الهواء بالخروج من الفم استمرارا حرا، وقد لاحظ العرب هذه الميزة فيها ولعلهم من أجل ذلك سموها أصوات المد، لأنك لا تستطيع أن تعد به الصوت، وككل اللغات السامية تحتوي اللغة العربية على نوعين من أصوات المد، صوت مد قصير وآخر طويل، تستطيع الأذن العادية التمييز بين درجتيه داخل السياق الصوتي، وهاتين الدرجتين موجودتين في حروف المد والحركات، وقد استعمل العرب هاتين الدرجتين في القديم للتغيير في المعنى الصرفي على الأقل ويتجل ذلك في قولنا قَاتَل وقَتَلَ.

«ولقد ذهب علماء اللغة إلى أن الضمة أثقل الحركات (لاحتياجها إلى تحريك عضلتين بخلاف الكسرة فإنها لا تحتاج إلا إلى تحريك عضلة واحدة) قال رجل للخليل: لا أجد بين الحركات فرقا فأجابه الخليل: أخبرني بأخف الأفعال فقال: لا أدري فقال: أخف الأفعال عليك السمع لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة، إنما تسمع من الصوت وأنت تتكلف في إخراج الضمة مع تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفي تحريك الكسر إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد».[1]

ولقد أثبت ذلك الدرس الصوتي الحديث فأقر ثقل الضمة على أختيها يقول الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية: «الضمة هي التي تحتاج إلى جهد عضلي

[1] علي عبد الله علي القرني: **أثر الحركات في اللغة العربية**، ص 78.

أكثر لأنها تتكون بتحريك أقصى اللسان في أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى اللسان، وتحريك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه».

إذن الأصوات الصائتة كمما ذكرنا هي:

حروف المد: ⇦ الألف والياء والواو.

الحركـــات: ⇦ الفتحة والكسرة والضمة.

وهذه تسمى في العربية الصائتة الأصلية، وهي ستة: ثلاثة لحروف المد وثلاثة للحركات، وكما عرفنا أنها سيان؛ أي لا فرق بينهما إلا في طول النفس وامتداده.

يقول **ابن جني:** «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث فهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو».[1] وفي مقياس علماء التجويد الحركة حركة واحدة، وحروف المد حركتان، فالفتحة نصف الألف والضمة نصف الواو والكسرة نصف الياء، فكل حركة تتبع الصوت الذي هي بعضٌ منه.

2. الفرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة:

«إن الصوائت العربية الأساسية، هي: الفتحة والكسرة والضمة والألف الممدودة اللينة أو الفتحة الطويلة (كما في قال) والياء الممدودة اللينة أو الكسرة الطويلة (كما في بِيعَ) والواو الممدودة اللينة أو الضمة الطويلة (كما في رُوحٌ)».[1]

ذكرنا سابقا أن الصوائت في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين حركات وحروف مد، وتعد عملية التفريق بين هذه الصوائت سواء في قسمها أو مجموعتها الكبيرة أو في مجموعتها الصغيرة أمرا صعبا على علماء اللغة، ويزيد من صعوبة دراسة الحركات أن النظريات الخاصة بتحليل الحركات قَلَّمَا يتم ضبطها ضبطا تاما وواضحا، مع التسليم بما فيها من جهد، وقد يكون ذلك ناجما عن كثرة الحركات مع قلة الفروق، هذا ويتنوع نطق الحركة الواحدة حتى في الإطار اللهجي الواحد تنوعا يجعل تعدد الحركات أمرا واقعيا بسبب اختلاف كل منها عن غيره. ويمكن تقسيم الأصوات الصائتة إلى عدة أقسام ولكن باعتبارات شتى وسنورد هذه الاعتبارات والتقسيمات على هذا النحو:

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص17.

[1] محمود السعران: **علم اللغة**، ص185.

1/باعتبار الكمية تنقسم إلى:

1- طويلة: وهي حروف المد الألف والياء والواو.

2- قصيرة: وهي الحركات الفتحة والكسرة والضمة.

2/باعتبار الجزء المرتفع من اللسان:

1- متقدمة: وهي الياء وتتبعها الكسرة (يرتفع فيها مقدم اللسان).

2- مركزية: وهي الألف وتتبعها الفتحة (يرتفع فيها وسط اللسان).

3- متأخرة: وهي الواو وتتبعها الضمة (ويرتفع فيها مؤخر اللسان).

3/ باعتبار درجة ارتفاع اللسان:

1- عالية: وهي الواو وتتبعها الضمة، والياء وتتبعها الكسرة (ودرجة ارتفاع اللسان فيها تكون عالية).

2- منخفضة: وهي الألف وتتبعها الفتحة (ولا يعين أن اللسان ينخفض فيها أو لا يرتفع فيها وإنما المراد أن درجة ارتفاع اللسان تكون منخفضة مقارنة بما سبق).[1]

وهذا التقسيم يمكن أن يترتب عليه تقسيمان آخران وذلك زيادة في التفصيل وإلا فيمكن أن نكتفي به والتقسيمان الإضافيان هما:

أولا: باعتبار وضع الفم: فكلما ارتفع اللسان انغلق الفم وكلما انخفض اللسان كلما أصبح الفم منفتحا (وهذا الاعتبار يمكن أن يقسم الصوائت إلى):

1- منغلق: وحروفه الواو وتتبعه الضمة والياء وتتبعها الكسرة.

2- منفتح: وحروفه الألف وتتبعه الفتحة.

ثانيا: باعتبار مجرى الهواء: فكلما اتسع الفم كلما كان مجرى الهواء متسعا، وكلما ضاق الفم كلما كان مجرى الهواء ضيقا، وعلى هذا الاعتبار يكون تقسيم الصوائت إلى:

1- **ضيق:** وأصواته الواو وتتبعها الضمة والياء وتتبعها الكسرة.

2- **متسع:** وأصواته الألف وتتبعه الفتحة.

---

[1] عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، ص40.

4/ باعتبار وضع الشفتين: 1- الشفتان بوضع دائري (مدورة): وهي الواو وتتبعها الضمة. **2-** الوضع الغير دائري (غير مدورة): وهي الياء والألف والكسرة والفتحة. ويمكن تقسم هذا الأخير (الوضع الغير مدور) إلى قسمين:

أ/ **المنكسـر**: وتتخذ فيه الشفتان وضع الانكسار لصوت الياء والكسرة.

ب/ الحيادي: وهو صوت الألف والفتحة.

5/ باعتبار سهولة النطق:

1- خفيفة: وهي الألف وتتبعها الفتحة.

2- ثقيلـة: وهي الواو وتتبعها الضمة والياء وتتبعها الكسرة.

ثم إن الثقيلة يمكن تقسيمها إلى:

أ/ ما هي ثقيلة: وهي الياء.

ب/ ما هي أثقل: وهي الواو.[1]

وهذا التقسيم الأخير تبدو قيمته لو عدنا إلى الإعلال فإن التعامل بين الألف والياء أكثر من الألف والواو وذلك؛ لأن الياء أقرب إلى الألف من الواو، ويكون الترتيب من حيث الخفة كالتالي: الألف فالياء فالواو، فالألف خفيفة والياء ثقيلة والواو أثقل من الياء، فالكسرة أقرب إلى الألف من الواو.

وقد لاحظ ذلك علماء العربية، فقال **سيبويه:** «الفتحة أخف على العرب من الكسرة والضمة .... إنما خفت هذه الخفة لأنه ليس منها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبدا وإنما هي بمنزلة النَفَسِ»، لذلك استعملت العرب الميزان الصرفي فَعُلَ في كلامهم وذلك لخفة الكسرة على الضمة.

أما **ابن جني**، فقد قسم الصوائت بعد أن ميزها عن الصوامت بامتداد النفس فيها، وواستطالته إلى أصوات مد وحركات معتمدا على معيار امتداد النفس كمما ذكرنا وعلى شكل الفم وذا دليل آخر على دقته مجال البحث الصوتي، فقال: «والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والوا... والعلة في ذلك أنك تجد

---

[1] عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، ص 41.

الفم والحلق في ثلاثة أحوال مختلفة الأشكال، أما الأنف تجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سُفْلًا وعُلْوًا قد اكتنفت جنبي اللسان وضغطته وتفاجى الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك لأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينها بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر».[1]

وما يمكن استنتاجه من هذا النص أن **ابن جني** ذهب إلى أن الاختلاف في التصويت بين هذه الأصوات الصائتة، إنما هو راجع إلى اختلاف هيئة جهاز النطق في أثناء أدائها، ويكاد يطابق هذه التعليل ما وصل إلية البحث الحديث من أن الاختلاف في التصويت هَهُنا إنما يرجع إلى اختلاف ما أصبح عليه الباحثون المحدثون بحجرة الرنين داخل الجهاز النطقي.

نلخص مما سبق أن ملاحظات اللغويين العرب في أصوات المد تمثل في مجملها فهما جيدا لطبيعة هذه الأصوات من قبل أوضاعها التشريحية وصفاتها الصوتية.

ويمكن إجمال هذه الملاحظات فيما يلي:

– أنهم فطنوا إلى الميزة الأساسية في أصوات المد، وهي حرية مرور الهواء إلى الفم من غير أن يحدث احتكاك، وبكمية هذا الهواء المار قسموا الصوائت إلى (حروف المد الطويلة والقصيرة "الحركات").

– أنهم اعتمدوا في التقسيم على وضع الشفتين أثاء التصويت بهذه الأصوات فكان وصفهم وصفا دقيقا اعترف به البحث اللغوي الحديث، بل أن الإشارة إلى الأوضاع التي تتخذها الشفة أثناء نطق هذه الأصوات يُعَدُّ أول ما وصل إلينا من علومهم.

– تحدثوا عن صفات هذه الأصوات فجعلوها مهجورة كلها، تمتاز بقوتها على الاستمرار والتصويت، وإمكان مد الصوت بها.

– لقد فطن العرب القدامى إلى فكرة المدية فميزوا بين أصوات المد الطويلة والقصيرة في كمية الهواء وذكروا أن الحركات هي أنصاف أبعاض هذه الحروف.

---

[1] ابن جني: سر **صناعة الإعراب**، ج1، ص8.

– أنهم نظروا إلى أصوات المد الطويلة وأنصاف المد على أنها جميعها مجموعة واحدة.

– إن صوت المد الطويل عندهم يمثل حركتين، فهما حركة متجانسة، ثم واحد من الألف والواو والياء.

3. مرتبة الصوائت والصوامت:

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في الكلام المتسلسل المتصل أثناء العملية التواصلية الشفوية: «فعندما ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه نلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر».[1] كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يؤثر عليه هذه التأثر الداخلي بين أصواتها، رغم أن درجة هذا التأثر تختلف باختلاف الأصوات المكونة لهذه الكلمة، فمن الأصوات من هو سريع التأثر يندمج في غيره أكثر مما قد يحدث مع غيره من الأصوات، ولعلّ السر في هذا التأثر هي المجاورة التي يخضع لها ترتيب الصوت داخل الكلام المتصل.

والأصوات في تجاورها تميل إلى جاني المماثلة والمشابهة، وذلك بفضل قوة الجار أو المجاور الصاد وقرب الطاء من مخرجها أبطلت التاء، واستبدلت بالطاء في لفظ "اصطبر" التي أصلها "اصتبر"، وقد سمي هذا التأثر الناتج عن المجاورة "بالانسجام الصوتي"، يقول **إبراهيم أنيس:** «ويمكن أن يسمى هذه التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه».[2] إلى الحركات مثلا في اللغات الإنسانية وجدناها مجهورة من الناحية الفوناتيكية؛ أي من الناحية النطقية المجردة، وقد تفقد فإذا نظرنا بعض الحركات خاصية الجهر التي هي ميزته في مواقع وسياقات كلامية.

يحدث مثل ذلك نتيجة لتأثر الحركة بأصوات مهموسة مجاورة لها، كما هو الحال في العربية، ويكون هذا صورة من صور ما يعرف عند علماء اللغة بالمماثلة.

في العربية قد تصبح الحركة موشوشة إذا كانت قصيرة لا طويلة، وكانت مركزية مع كونها مجاورة لصامت مهموس، وليس من السهل أن يتحكم الناطق بدرجة واحدة من

---

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 106.

[2] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 106.

الشدة عند نطق الأصوات، مهما بلغت درجة الناطق من دقة الأداء، ومهما حاول أن يضبط الصوت على درجة واحدة، لذلك رأى بعض العلماء المحدثين أمثال "يسبرسون" أن كل مقطع لابد أن يبنى على صوت ضعيف سمعيا آخر أقوى منه سمعيا، وقد تفقد الحركة جهرها، وتكون درجة وضوحها السمعي أقل من درجة وضوحها وهي منعزلة.

وقد ترد الحركة مفخمة لسبب أن السياق يستدعي هذا التفخيم، وليس في شك أن وضوحها السمعي سيتأثر بالتفخيم الطارئ عليها، الحركة تتأثر بما يجاورها من الحروف أثناء السلسلة الكلامية.

الحروف العربية في مجاورتها تميل إلى الانسجام في صفتي الشدة والرخاوة والجهر والهمس خاصة، فإذا اجتمع مختلفين غلب أن تتغير صفة أحدهما، وذلك للاقتصاد في المجهود العضلي أثناء النطق بها، يقول **ابن جني:** «على ما قدمناه على أن الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنه فيه، ويزيد ذلك عندك وضوحا أن من العرب من يقول في الوقف: هذا عَمُرْ، وبَكُرْ... فينقل حركة الراء إلى ما قبلها، وإنما حاز ذلك لأنه إذا حرك ما قيل الراء فكأن الراء متحركة».[1] وهذا تصريح من **ابن جني** على أن الحركة يمكنها أن تنجذب إلى حرف وتنتقل إليه فتلصق به وكأنه عليه وذلك لتجانسه معه، فحسن ضم عين اللفظ لتجانس ضم اللام مع ضم العين فانتقلت الضمة من اللام إلى العين.

إن أهم التأثيرات التي تخضع لها الصوامت تكون حين يقع واحد من هذه الأصوات بين صوتي المدّ، وقد عد المحدثون ذلك قانونا صوتيا ولا سيما الانفجارية منها، فيؤدي بها إلى الضعف والانحراف، لهذا أورد اللغويون العرب ملاحظات عن درجات أخرى في صوت المد، يكون فيها هذا الصوت قصير جدا، بل مختلسا بحيث يفقد قيمته الصوتية داخل المقطع العربي، وذلك بسبب ضغط بعض الحروف عليه، ومن بين الملاحظات التي أوردها اللغويون القدامى حول درجات أصوات المدّ، من حيث الوضوح السمعي "الإشمام" والذي يتمثل في إذاقة الحرف للضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع، وإنما

---

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 80.

يتبين ذلك بحركة الشفتين، ولا يُعتدّ بها لضعفها والحروف، التي فيها الإشمام هي السواكن أو كالسواكن.

وظاهرة التخفيف أو الحذف لصوت المد الظاهر معزومة إلى تميم، وكثير من أهل نجد كما يشير الدكتور **غالب فاضل المطلبي**.

كما نجد درجة الروم والتي عرفها العرب على أنها حركة مخفاة بضرب من التخفيف، وهي أكثر من الإشمام بالإخفاء؛ لأنها لا تسمع وهو عند القراءة (عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى ينهب معظمهما).

وحركة الروم هي حركة غير شائعة إلا هي سياقات محددة.

وتختلف اللغات واللهجات في درجة الميل بالحركة أو إخفائها أو نقلها من ساكن إلى آخر، إذ إن بعضها يسبب من طبيعة الأداء البطيء يجنح إلى نطق أصوات الكلمات نطقا متأنيا، فيسمح لها ذلك بنقل اللسان من الضم إلى الكسر أو إلى الفتح محققة في ذلك أثناء نطقها الانسجام في الانتقال من حرف مد إلى آخر، لذلك استعملت العرب صيغ سهلة في النطق.

وهناك أمثلة كثيرة على هذا توضح لنا حركة العين غير مستقرة في الأفعال العربية ولهجاتها «وأحسب أن العرب القدماء كانوا لعنوا بها قال **أبو زيد:** (طفرت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن باب فَعُلَ ويَفْعِلُ بالضم والكسر لأعرف منه ما كان بالضم أولى وما كان منه بالكسر أولى فلم لأجد ذلك قياسا وإنما يتكلم كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف».[1]

وهذا يدل على جواز الوجهين وإنهما الشيء الواحد؛ لأن الضمة أخت الكسرة في العقل كما بين سابقا كما أن الواو نظيره الياء في الثقل والإعلال، ومن المؤكد أننا لا نستطيع بيان التسلسل التطوري الصوتي في هذا الاختلاف بين هذا الصيغ، والبحث عن أسبقهما؛ لأنها خلافات لهجية تقودنا إلى البحث في النشأة الأولى للغة.

ولقد أيد ذلك الدرس الصوتي الحديث؛ إذ نجد الدكتور **أحمد مختار عمر** يقول: «يعتمد كل من العلل والسواكن على الآخر، فالسواكن تفضل العلل، والعلل تمكن أجهزة

---

[1] غالب فاضل المطلبي: **في الأصوات اللغوية**، ص 188.

النطق من الانتقال من وضع الساكن للذي يليه وأكثر من هذا فنحن نعتمد على العلل – إلى حد ما– لنسمع السواكن».[1]

كما أن دور الحركات وتأثيرها على الحروف الصوامت، لم يكن فقط لغرض صوتي في تسهيل عملية النطق والانتقال من صامت إلى آخر فحسب، وإنما تعدت إلى تغير الدلالة والعنى داخل التركيب، وأنك تجد اختلافا في المعنى بين ضَرَبَ وضُرِبَ، فالأولى دلت على الفاعل والثانية على المفعول، واستعملت العرب جَلسة للمرة وجِلسة للهيئة، ولم يقتصر هذا التأثير على الحركات الفروع فقط، بل إلى الحركات الأصوات الطوال أيضا، وحسبك أن ترى الاختلاف بين قولك ضَرَبَ وضَارب.

«كما أن للحركات دور بارز في معرفة صحيح الشعر ومعيبه وذلك لتغلغلها في الأسباب والأوتاد ما جعل علم العروض يقوم على الحركة إذ لا يخلو كلام العروضيين على الحركات والسكون في الكلمة أو بعضها فقسم البيت إلى مقاطع كبرى تعرف بالتفاعيل وصغرى تعرف بالأسباب والأوتاد».[2]

ومما يدل على أن الحركات أبعاض الحروف كما ذكر **ابن جني** أنك لو أخذت أيّ حرف من الحروف المعجم غير الألف والواو والياء فستجد أنك تستطيع أن تأتي قبله بأية حركة شئت، ولا تحس في ذلك بأي ثقل في اللفظ واستكراه، ولو حاولت ذلك مع حروف لمد فوجدت الكسرة والضمة قبل الألف غير مستطالة البتة، ولو وجدت الكسرة قبل الواو والضمة قبل الياء ممكنة، ولكنها تجشمك من المشقة والكلفة ما لا تجد مثله في الحروف الصحاح، وقد أجرت العرب الحرف مجرى الحركة، وأجر الحركة مجرى الحرف باعتبار أن الحركات أبعاض حروف المد نحو قولهم لم يسمع، ولم يرم ولم يغزو وتبدل بالسكون وما السكون إلا ضد للحركة لذلك عبر عنه بـ (ْ) أي الدرجة الصفر من الحركة.

رغم الأمثلة التي قدمناها في تَأَثُّر بعض الصوامت بأصوات المدّ، إلا أن هذا التأثير ليس واضحا تمام الوضوح، وقد يرجع ذلك إلى أن هذا التأثير لا يؤدي إلى تغير واضح في الصامت، إلا في بعض الحالات من نحو ما عرضه **ابن جني** من أن الحركة تؤثر في النون السابقة فتجعل الهواء يخرج من هذه النون من الفم بدل الأنف، ومن نحو

---

[1] أحمد مختار عمر: **دراسة الصوت اللغوي**، ص 132.

[2] تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 92.

اللام في لفظ الجلالة الله؛ إذ إن مخرجها يتأخر بعض التأخر إذا سبقت بضمة أو فتحة، ويظهر هذا التأخر في المخرج على هيئة تغليظ في صوت اللام.

غير أن هذا التأثير من أصوات المد على الصوامت لا يمكن الاطمئنان إليه في اللغة العربية؛ لأنه كما يرى بعض المحدثين أ، هـ لا يظهر أثناء الكتابة، فلا يظهر مثلا تأثير صوت مطبق في الضمة حالة اجتماعهما معا علما أن صوتا من هذا القبيل قد يجعل الضمة أشد خفاء، وربما يخفيها إطلاقا.

ورغم قلة الاطمئنان هذه إلا أن العلماء القدامى لم يبخلوا علينا بالبحث في أسباب التغيرات التي تطرأ على الصوامت من تأثير الصوائت، والتغيرات التي تطرأ على الصوائت من تأثير صفات الصوامت، ومن هؤلاء نجد **سيبويه** الذي فسر تأثر الفتحة بالأصوات الحلقية وقال: بأن العرب «إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق فكر هو أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الألف».

من قول **سيبويه** يتوضح لنا بأن الحركات قد أدت مهمة جليلة في اللغة العربية؛ إذ عدت أساسا لقوة السمع في لغة راسخة القدم في تاريخ المشافهة، وهي خاصية طبع عليها العلم العربي حيث تلقفه الرّواة مشافهة، حتى عصر التدوين، وذلك في قوله كرهوا وهذا دليل على اعتماد العرب على الحركات في تسهيل عملية النطق، وسرعة الانتقال من حف إلى آخر ليوصل بذلك الكلام بعضه ببعض، يقول **الخليل:** «إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»[1] .

ولم يكتف **ابن جني** بإجراء الحركات مجرى حروف المد واللين فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى القول بإجرائها مجرى بقية الحروف، فقال: «فكأنها حين جرت مجرى الألف والياء والواو وهن حروف وأم كوامل مكنها ذلك من أن تجرى مجرى بقية الحروف»، ومن ذلك أن تفضل بين الحرفين اللذين يمكن إدغامهما، فلا يتوصل إلى الإدغام كما لا يتوصل إلى إدغام المتقين أو المتقاربين إذا حجز بينهما حرف.

---

[1] سيبويه: **الكتاب**، ج1، ص 210.

كما يرى ابن جني أن الحركة إذا أشبعت أي أن يأتي بعدها حرف هي بعضه تبعته، فقد كان يتصور **ابن جني** الحرف الصحيح (الصمامة) إلا ساكنا أو متحركا، والحرف الذي قبل المد يكون محركًا يمثل صوته، فكما أن الألف التي بعض الضاد في قولنا ضارب أتت بعد الضاد، فالفتحة أيضا في المرتبة هي بعد الضاد؛ لأنها بعض من الألف فتبعتها.

يقول **ابن جني**: «نحو ضاد ضارب لك أن تشبع الفتحة فتقول ضارب، والمكسور هو الذي أتبعت حركته حدثت عنها ياء نحو ضاد ضرا بلك أن تشبع الكسرة فتقول (ضِراب)..... إلا أن هذه الحروف اللائي يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن لأنهن مدّات والمدّات لا يتحركن أبدا»،[2] فأصل ألف ضارب حسب **ابن جني** هي ساكنة، وإن انفتاحها هو إشباع للفتحة المستعرضة فوق الضاد فقط، ولا تملك الألف فتحة فوقها؛ لأنها يجب أن تكون ساكنة.

أما عن سبق الحركة للحرف الصحيح فقد فنده **ابن جني** بقوله: «فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف وذلك لأن الحرف كالمحل للحركة وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه ولا يجوز وجودها قبل وجوده»[3] .

ويستدل لذلك بأنه لو سبقت الحركة الحرف لما جاز الإدغام في الكلام؛ لأنه لو كانت حركة الحرف الثاني في الرتبة قبله، لكانت حاجزا بين الحرف الأول والثاني، ولو كان الأمر كذلك لما جاز الإدغام الأول في الثاني لاختلاف حركتهما.

ولهذا فالحركة تأتي بعد الحرف، وقد قدم **ابن جني** أمثلة كثيرة على ذلك أهم هذه الأمثلة الإشباع في الحركات لتصبح أصوات مدّ.

4. أشباه الصوائت: (أشباه أصوات اللين):

شبه الصائت هو الذي ينطلق معه الهواء، فلا ينحبس معه لا جزئيا ولا كليا ولا ينطلق انطلاقا تاما فمجراه فيه ضيق لا يصل إلى درجة الانحباس.والصوائت الأساسية، هي: الحركات الثلاثة الفتحة والكسرة والضمة، وقد أطلق على الحركة المصوت القصير،

---

[2] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 28.

[3] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 28.

أما المصوت الطويل فقد أطلق على ثلاثة حروف وهي "الألف والياء والواو" وسماها **ابن جني**: «الحروف الثلاثة اللينة المصوتة»[1] .

وسماها المحدثون بأشباه الصوائت، فهي شبيهة بها في اندفاع الهواء فيها من غير انحباس؛ بحيث لا يعيقه عائق حين خروجه من الحنجرة إلى الفم، وهي شبيهة بالحركات الثلاثة؛ لأنها أبعاضها.

ومصطلح اللين، هو من مصطلحات **الخليل بن أحم،د** وقد جاء في كتابه العين؛ إذ قال: «في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحًا لها أحياز وخارج، وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف واللينة والهمزة»[2]

بحيث عدّ **الخليل** اللين شدة اتساع مخرج الهواء، بحيث لا يعترض النفس في أي مرج أو حيز من مدارج الجهاز النطقي، ونظرا لاتساع مخرج اللف اكثر من بقية الأصوات فقد خصه الخليلي بهذه الصفة «إلا أن سيبويه استخدم هذه الصفة خاصا بها صوتي الواو والياء غير المديتين دون الألف فقال: ومنها اللينة وهي الواو والياء»[3] واختلافهما في عد هذه الحروف وإطلاق الصفة عليها إنما راجع إلى الاعتبار الذي قام عليه اختيارهما، فـ **الخليل** احتكم إلى اتساع المخرج، بينما عدّ **سيبويه** أي اللين اتساع مخرج الصوت دون مخرج الألف، لذلك أفرد **سيبويه** الألف ملحقا بها الواو المدية والياء المدية، بينما صارت لديه الواو المسبوقة بالفتحة والياء المسبوقة أيضا بالفتحة صوتا لينا، وهذه يدل على أن **سيبويه** فرق بين نوعين من الياء، ياء مدية والأخرى لينة وكذلك فعل مع الواو فجعل واحدة مدّية والأخرى لينة.

وقد ذكر **ابن جني** الأصوات الثلاثة في قوله: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وهي الألف والياء والواو»،[1] إلا أنه فرق بينهما قائلا: «على أنه قد يمكن الفصل بين الياء والواو وبين الألف بأنها لا بد من أن تكون تابعة وأنهما قد لا يتبعان ما

---

[1] ابن جني: **الخصائص**، ج3، ص 124.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، ج1، ص 63.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 161.

[1] ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، ص 17.

قبلهما» ،[2] وهو يقصد بتابعة أنها صوت مصوت؛ أي حركة فهو يكون تابعا للحركة التي قبله؛ أي الفتحة ويكون مشبعا لها؛ لأن الحركة كما ذكر **ابن جني**؛ وذكرنا نحن سابقا تكون بعد الحرف، وذلك في مثل قولنا نَام، فالألف هي: إشباع لفتحة النون، ولا يمكن أن تكون الألف ساكنة، أما الياء والواو فتأتيان صامتتان، ولذلك تكونان متبوعتين بحركتين، وليس شرطا أن تكونا متبوعتين للحركة التي تسبقهما، وذلك في مثل قولنا: بَيْعٌ أو قَيْسٌ، فقد اتخذت الياء وضع السكون، ولم تُشبع الفتحة التي قبلها، و**ابن جني** لا يصف هذه الأصوات بصفة اللين كما فعل **سيبويه** و**الخليل**، وإنما وصفها بصفة المد واللين معا.

ولقد اكتفى **مكي** بتعليل تسمية سيبويه لهما، وذلك أنهما سميتا بذلك يخرجان في لين، وقلة كلفة على اللسان، «أما العلماء المحدثون فاللين عندهم هو المصوت وأصوات اللين هي الأصوات المصوتة أو الحركات الطويلة، ويكون المخرج فيهم متسعا بحيث يمر الهواء دون حوائل تعترضه، وهم يوافقون بذلك المبرد، وأكثر العلماء علما أن الخليل استخدمه للمعنى نفسه، وكذلك **سيبويه** أما صوت اللين بمفهوم القدماء هما الواو والياء وهما عن المحدثين أشباه أصوات اللين».[3] وقد سميت عند المحدثين بشبه أصوات اللين لتشابه موضع اللسان فيها بموضعه في أصوات اللين: «ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع، لهما نوعا ضعيفا من الحفيف وهذان الصوتان هما ما اصطلح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل [يسر، ينع، ولد، دلو] ففي تكون الياء نلحظ أن اللسن يكون تقريبا في موضع النطق لصوت اللين».[1]

ويعلل الدكتور **إبراهيم أنيس** التسمية، فيقول: «الياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف يمكن أتُعدّ صوتًا ساكنا، أما إذا نظرنا إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبها بصوت اللين، لهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللين».

وكذلك الأمر مع الواو، فهي يتخذ فيها اللسان موضع الحركة، والمد لذلك اعتبر المحدثون الواو والياء المرحلة، التي عندها يمكن أن ينتقل الساكن إلى صوت لين.

---

[2] المصدر نفسه، ج1، ص 56.

[3] عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص 164.

[1] إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، ص 44.

كما أن هذين الصوتين، هما: صوتان انتقاليان فهما ينتقلان من موضع إلى مواضع أصوات اللين، وذلك راجع إلى قدرتهما على التحول خاصة الياء التي سرعان ما تتحول إلى حرف لين بعد أن تكون في موضع حرفا ساكنا.

وهناك اختلاف في مخارج صوت الواو والياء اللينتان، وإن كان الاختلاف بسيطا في الياء، فالاختلاف يمكن أن نقول عليه كليا بين القدماء والمحدثون؛ إذ عدّ القدماء الشفتين مخرجا لها بينما رأى المحدثون، وعلى رأسهم الدكتور **إبراهيم أنيس** أن الشفتان لا دور لهما في نطق الواو، وإن استدارتهما هي: منعكس لتصعد اللسن في مؤخره؛ لأن مخرج الواو عندهم هو من أقصى اللسان حين يلتقي بأقصى الحلق، ووضع الشفتان إنما هو راجع إلى تموضع اللسان، فعند ارتفاعه تنضم الشفتان، وعند انبساطه تنفتح الشفتان وتتعرج. ويطلق على أنصاف الصوائت عند بعض العلماء "أنصاف الحركات"، وهي الأصوات التي يحدث في أثناء نطقها أن يضيق مجرى الهواء ضيقا قليلا يسمح بمرور الهواء دون احتكاك ملحوظ وفي العربية أشباب الصوائت أو أشباح الحركات، هي الواو والياء. ويضم بعض العلماء الصوتيين السابقين الواو والياء إلى مجموعة الأصوات المتوسطة أي بين الشدة والرخاوة.

خاتمة

رصدت هذه الدراسة الموسومة بـ «الصوامت والصوائت عند ابن جني في ضوء الدرس الصوتي» نتائج عديدة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

– تبنت العلوم العربية في دراستها الصوتية منهجا وصفيا تصنيفيا يرتكز بشكل كلي على الحس السمعي في غياب الإمكانيات والآلية والتقنية المخبرية، وقبل أن يحمل الدرس الصوتي لـ **ابن سينا** –بحكم اعتماده على علم الطب (التشريح) بوادر الانتقال من الذوق، والحس إلى العملية التقنية التي لم تخالف نتائجها الدقيقة، في آخر تطوراتها بعض ما جاء به العلماء العرب من قبل.

– ويمكن أن نجعل اهتمام العلماء العرب بالأصوات العربية في أهم النقاط التالية:

* طبيعة الأصوات اللغوية (الحروف)، وخصوصياتها الفزيزلوجية والفزيائية.
* تحديد الحروف العربية –أصولا وفروعا–.
* تحديد الصوامت والمصوتات، والتمييز بينهما.
* تحديد مخارجها، وصفاتها.
* وضع قواعد تأليف الأصوات.

– ومهما يكن من أمر اختلاف النحاة، واللغويين، والقراء لعلم الأصول، وطرائق دراسته وتحليله، فقد جرى التكامل بين كل هذه العلوم في صياغة درس صوتي عربي، يمتلك العديد من خصوصيات التمييز، رغم كل ما غاب عنه من شروط نظرية، وثوابت علمية تقنية في مستوى تجريبي مخبري.

– كان للكتابة أثر كبير في دراسة الأصوات، فنجد **الخليل** مثلا في ترتيبه للأصوات، قد اعتمد على شكل الكتابة، فابتدأ معجمه بحرف العين، وكان الأولى به أن يبدأه بالهمزة، وقد عفّ عن الابتداء بها؛ لأنها لا تثبت على حال في الكتابة.

– هناك اختلاف بين ما يسميه المحدثون بالنظام الصوتي للغة العربية المعاصرة، وبين النظام، وبين النظام الصوتي الذي ذكره اللغويون القدامى.

– الصوتيات علم عملي يعتمد على التجارب، التي بدورها تعتمد على معامل مجهزة تجهيزا حديثا يواكب التطور العلمي والتقني الذي نعيشه، وهناك أجهزة تقدم فروع الصوتيات الثلاثة بخاصة النطقية منها، فيمكن متابعة حركات الجهاز الصوتي وتحديد مخارج الصوت وحالة العضلات، وسير الهواء في الجهاز الصوتي.

– هناك خلاف في استعمال عدد من المصطلحات، ولو نظر إلى مصطلحات القدماء لعدّ هذا الخلاف لاغيا مثل الخلاف في الأصوات المصوتة والصائتة والصامتة والساكنة، فقد استعمل علماء العربية قديما مصطلحي المصوتة والصامتة، وكان الأولى إتباع هذين المصطلحين وعدم الدخول في نقاشات ليس لها طائل.

– إن الدراسات الحديثة في علم الأصوات تغفل المصطلحات الصوتية عند العرب، وتستعمل مصطلحات مترجمة من اللغات الأخرى، ولذلك تتعدد المصطلحات بتعدد المترجمين مثل مصطلح "الشدّة"، وهو مصطلح قديم استعمله سيبويه لا استعمله المحدثون، وإنما يستعملون مصطلح انفجاري، انسدادي، آني... إلخ.

– إن علم الأصوات وُجد في صورته الواضحة الجلية عند العرب، وليست الأبحاث الرائدة التي وجدت عند **سيبويه**، و**ابن جني**، وعلماء التجويد إلا دليلا على ذلك، وإذا كان التصنيف لم يلحق هذا العلم، فإن هذه الرسالة تأتي لتؤكد وجود هذا العلم، وأن هذه المصطلحات التي حوتها هي شاهدة على وجود هذا العلم.

– إن بعض المفاهيم الصوتية التي ذكرها القدماء بخصوص صفات الأصوات، ومخارجها إلا دليل على حسن تذوقهم، وعلى صحة منهجهم المعتمد على النطق الذاتي وتذوق الأصوات.

– عرض البحث للأسباب التي تدعو إلى القول بجهر الهمزة، وشدتها وأبرز تلك الأسباب:

* أن ما يتطلبه جهر الهمزة عند المحدثين تتوافر عليه حركة انطلاق الوترين الصوتيين وانفتاحهما، وهذه الحركة وإن بدت بعضهم غير الاهتزاز المشترط للجهر، فإن الاهتزاز يمكن القول عنه، إنه درجة من درجات الحركة بكل الأحوال.

* كما أن كلا من الانطباق والانفتاح درجة من درجات الحركة.

– مخارج الأصوات وصفاتها خاصة منها الأصوات الصامتة هما مبحثان منفصلان، فالأول يحدد مكان خروج الصوت، وأما الثاني فهو يحدد الكيفية التي يخرج بها الصوت والكيفيات تختلف باعتبارات مختلفة كاعتبار حركة الهواء.

– المتتبع لما وصل إليه علماء اللغة في القديم، والحديث من نتائج هذا المجال يتضح له مدى قدرة علمائنا في القديم على الوصف الدقيق للأصوات، وما اختلفوا فيه مع المتأخرين بعدد قليل جدا.

وفي الأخير بحثنا هذا ما هو إلا رشفة من ينابيع العلم والمعرفة، نتمنى أن نكون قد أفدنا ولو بالقليل حول هذا الموضوع الواسع والمتشعب، وهو المقارنة بين الدراسات الصوتية الحديثة والدراسات الصوتية القديمة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن.

1/ المصادر:

1. ابن جني: **سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنراوي، دط، دت.
2. أبي الفتح عثمان ابن جني: **الخصائص**، ج3.

2/ المراجع:

1. خليل إبراهيم العطية: **في البحث الصوتي عند العرب**، دط، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1983.
2. إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، دط، مطبعة نهضة مصر، دت.
3. مصطفى بوعناني: في الصوتيات الفني ونماذج التنظير الفونولوجي، دط، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
4. حسام سعيد النعيمي: **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني**، دار الرشد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية الأردنية، 1980، المملكة العربية السعودية، 2004.
5. هادي نهر: **علم الأصوات النطقي دراسة وصفية تطبيقية**، دط، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2011.
6. مصطفى بوعناني: **في الصوتيات العربية والغربية**، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2010.
7. داود عبده: **دراسات في علم أصوات العربية**، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
8. بلملياني بن عمر: **تراث بن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث**، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2006.
9. يحي بن علي بن يحي المباركي: **مدخل إلى علم الصوتيات العربي**، دط، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، جدّة، 1427هـ، 1428هـ.
10. عمار إلياس البوالصة: **الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس، دراسة وصفية تحليلية**، ط1، دار جليس الزمان، عمان، 2009.

11. سمير شريف أسنيتية: **الأصوات اللغوية رؤية عضوية وفزيائية**، دط، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002.

12. أحمد مختار عمر: **دراسة الصوت اللغوي**، دط، عالم الكتب، القاهرة، 2007.

13. عبد العزيز الصيغ: **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007.

14. عبد اللطيف فايز وريان: **التبيين في أحكام تلاوة القرآن الكريم**، تقديم محمد رشيد راغب قباني، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1999.

15. عبد العزيز أحمد علام: **علم الصوتيات**، ط3، مكتبة الرشد، الرياض، 2009.

16. عمر بن عثمان بن قنبر (سيبويه): **الكتاب**، ج1، ج4.

17. أحمد محمد سالم الزوي: **الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات**، مجلة كلية الأدب، العدد التاسع.

18. سعيد محمد إسماعيل علي: **الدرس الصوتي عند أبي عصفور**، دط، جامعة الانجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2002.

19. هيام سليم عبد اللطيف ناصيف: **الدرس الصوتي في شافية ابن حاجب**، دط، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، أطروحة نيل ماجستير، نابلس، فلسطين، 2003.

20. عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان: **دروس في النظام الصوتي للغة**، 1428.

21. محمود السعران: **علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت.

22. تمام حسام: **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط4، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.

23. بكر محمد أبو معيلي: **رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير**، دط، جامعة مؤقتة، 2003.

24. حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.

25. عبد الكريم مقديش: **مذكرة في أحكام التجويد**، ط2، تقديم كريم راجح، مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2008.

26. منصور بن محمد الغامدي: **الصوتيات العربية**، دط، مكتبة التوبة، الرياض، 1421هـ.

27. أحمد زرقة: **أسرار الحروف**، ط1، دار الحصاد للنشر والوزيع، دمشق، 1993.

28. حازم علي كمال الدين: **دراسة في علم الأصوات**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة: 2001.

29. علي عبد الواحد وافي: **فقه اللغة**، ط3، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

30. غالب فاضل المطلبي: **في الأصوات اللغوية**، دراسة في أصوات المد العربية، دط، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984.

31. علي عبد الله علي القرني: **أثر الحركات في اللغة العربية –دراسة في الصوت والبنية–**، دط، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى.

3/ المعاجم:

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي: **العين**، ج1.

2. جمال الدين بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ج3، ج5، ج6، ج7، ج10، ج11، ج12.

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة	5 – 1
الفصل الأوّل: الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي.....	32 – 6
تمهيد.....	7
1. الصّوت اللّغوي.....	10
2. منهج ابن جنّي في دراسة الصوت:.....	17
أ. الاعتماد على المنهج الوصفي.....	18
ب. اتّخاذ النّطق الذّاتي سبيلا.....	18
ج. الاعتماد على نظام الصّفات.....	19
3. مخارج الأصوات اللغوية عند ابن جنّي والمحدثين.....	19
4. أوجه الاختلاف بين الصّوائت والصّوامت.....	28
أ. من ناحية الوظيفة.....	28
ب. من الناحية الفسيولوجية.....	28
ج. من الناحية الفيزيائية.....	29
د. من الناحية السمعيّة والإدراكيّة.....	30
الفصل الثاني: الصّوامت بين ابن جنّي والمحدثين.....	96 – 33
1. عدد الصوامت الأساسيّة.....	34
2. الترتيب الصوتي للصّوامت.....	40
3. تصنيف الأصوات وتقسيمها بحسب المخارج عند القدماء.....	45
4. تصنيف الأصوات حسب المخارج عند المحدثين.....	49

5. تصنيف الأصوات باعتبار الصّفات.....	56
6.الاختلاف بين القدماء والمحدثين في صفات الأصوات.....	95
الفصل الثّالث: الصّوائت بين ابن جني والمحدثين.....	97 – 117
تمهيد.....	98
1. عدد الصوائت الأساسية.....	99
2. الفرق بين الصوائت الطّويلة والقصيرة.....	106
3. مرتبة الصوائت والصوامت.....	109
4. أشباه الصّوائت (أشباه أصوات اللّين).....	115
خاتمة.....	118 – 121
قائمة المصادر والمراجع.....	122 – 125
فهرس الموضوعات.....	126